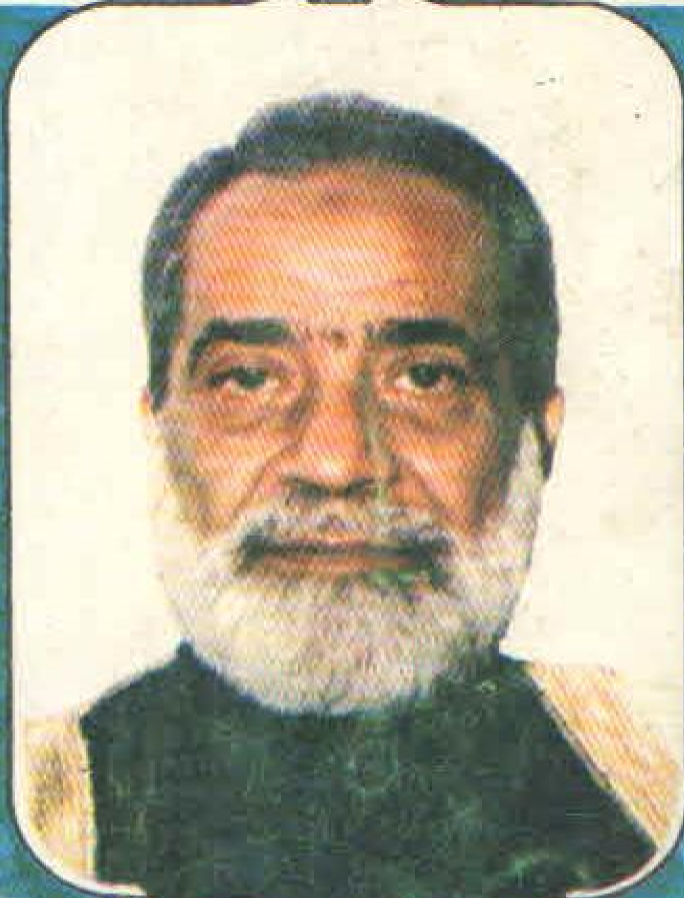
سلسلة
كتب إسلامية



الطريق إلى الله



هو الله





الداعية الإسلامى

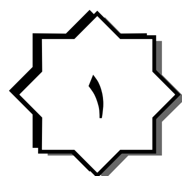
ياسين رشدى



نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية



هو الله

الداعية الإسلامى
ياسين رشدى

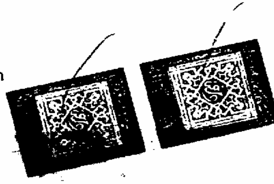
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الاسلامية
الادارة العامة
للبحوث والتاليف والترجمة





السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : ....

تاليف : ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

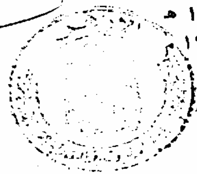
مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

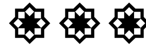
مدير عام
ادارة البحوث والتاليف والترجمة

تحريرا فى ٢٢ / ٤ / ١٤١٢ هـ
الموافق ٣٠ / ١٠ / ١٩٩١ م



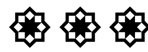
تقديم

الْحَمْدُ للهِ الْكَرِيمِ الْمُجِيبِ لِكُلِّ سَائِل ..
التَّائِبِ عَلَى مَنْ تَاب ، فَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادِ حَائِل ..
جَعَلَ مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا ، وَكُلُّ نَعِيمٍ فِيهَا لاَ مَحَالَةَ زَائِل ..
حَذَّرَ النَّاسَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَلِلشَّيْطَانِ مَنَافِذُ وَحَبَائِل ..
فَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ .. فَذَلِكَ الْكَيِّسُ الْعَاقِل ..
وَمَنِ اسْتَسْلَمَ لِهَوَاهُ .. فَذَاكَ الضَّالُّ وَالْغَافِل ..
نَحْمَدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ ، فَالْحَمْدُ مِنْهُ وَإِلَى جَنَابِهِ وَاصِل ..
وَنَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِهِ الْكَرِيمِ مِنَ الْفِتَنِ فِى عَاجِلِ أَمْرِنَا وَالآجِل ..
وَنَسْأَلُهُ الْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ ، وَرُفْقَةَ الصِّدِّيقِينَ وَالْمُقَرَّبِينَ الأَوَائِل ..



وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ وَالْمُشَاكِل ..
مَنْ لِلْعِبَادِ غَيْرُهُ ؟ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ وَيَعْدِلُ الْمَائِل ؟ ..
مَنْ يَشْفِى الْمَرِيضَ ؟ وَمَنْ يَرْعَى الْجَنِينَ فِى بُطُونِ الْحَوَامِل ؟ ..
مَنْ يَكْلأُ النَّاسَ وَهُمْ نِيَامٌ ؟ وَهَلْ لِحِمَايَتِهِ بَدَائِل ؟ ..
مَنْ يَرْزُقُ الْعُصَاةَ ؟ وَلَوْلاَ حِلْمُهُ لأَكَلُوا مِنَ الْمَزَابِل ..

مَنْ يَنْصُرُ الْمَظْلُومَ ؟ وَلَــوْلاَ عَدْلُــهُ لاَسْــتَوَى الْقَتِيــلُ وَالْقَاتِــل ..
مَنْ يُظْهِــرُ الْحَــقَّ ؟ وَلَــوْلاَ لُطْفُــهُ لَحَكَــمَ الْقُضَــاةُ لِلْبَاطِــل ..
مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَمَنِ اسْتَعْصَتْ عَلَى قُدْرَتِهِ الْمَسَــائِل ؟ ..
مَنْ يَكْشِفُ الْكَرْبَ وَالْغَمَّ ؟ وَمَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْمَشْغُولِ وَالشَّــاغِل ؟ ..
مَــنْ يَشْــرَحُ الصُّــدُورَ ؟ وَلَــوْلاَ هُــدَاهُ لاَنْعَــدَمَ الْكَوَامِــل ..
مَنْ كَسَانَا ؟ مَنْ أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا ؟ وَمَنْ هَيَّأَ لَنَا الْمَخَارِجَ وَالْمَدَاخِل ؟ ..
مَنْ كَفَانَا ؟ مَنْ هَدَانَا ؟ وَمَــنْ خَلَــقَ لَنَــا الأَبْنَــاءَ وَالْحَلاَئِــل ؟ ..
مَنْ سَخَّرَ لَنَا جَوَارِحَنَا ؟ وَمَنْ طَوَّعَ لَنَــا الأَعْضَــاءَ وَالْمَفَاصِــل ؟ ..
مَنْ لَنَا إِذَا انْقَضَى الشَّبَابُ وَتَقَطَّعَتْ بِنَــا الأَسْــبَابُ وَالْوَسَــائِل ؟ ..
هُــوَ ((اللّٰهُ)) ..
هُــــوَ اللّٰهُ الإِلَــهُ الْحَقُّ ، وَكُــلُّ مَــــا خَــــلاَ اللّٰهَ بَاطِـــــــل ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْــدُ اللهِ وَلِرِسَــالَةِ الْحَــقِّ حَامِــل ..
الْعَرَبِــيُّ الْقُرَشِــيُّ الأُمِّــيُّ الَّــذِى لَــمْ تُنْجِــبْ مِثْلَــهُ الْقَبَائِــل ..
سَلِ الْبَلَدَ الْحَرَامَ : مَتَــى أَيْنَعَــتِ الزُّهُــورُ وَغَــرَّدَتِ الْبَلاَبِــل ؟ ..
سَلِ الشُّهُبَ النَّيِّرَاتِ : لِمَاذَا هِىَ بَيْنَ الْجِــنِّ وَالسَّــمَاءِ حَوَائِــل ؟ ..
سَلْ آمِنَةَ الشَّرِيفَةَ حِــينَ وَضَــعَتْهُ : مَــنْ كُــنَّ لَهَــا الْقَوَابِــل ؟ ..

سَلْ حَلِيمَةَ الَّتِى أَرْضَعَتْه : كَيْفَ سَارَتْ نَاقَتُهَا بَيْنَ الرَّوَاحِل ؟ ..
سَلْ صُوَيْحِبَاتِهَا مِنَ الْمَرَاضِعِ : لِمَاذَا عَضَضْنَ عَلَيْهَا مِنَ الْغَيْظِ الأَنَامِلِ ؟ ..
سَلْ قَوْمَهُ عَنْ صِبَاهُ ، وَهَلْ كَانَ يَخْدَعُ أَوْ يُخَاتِل ؟ ..
سَلْ رِمَالَ مَكَّةَ عَنْ عَفَافِهِ ، وَسَلْ مِنْهَا الْعَوَالِىَ وَالأَسَافِل ..
سَلِ الأَعْدَاءَ عَنْ خُلُقِهِ ، وَسَلْ عَنْ حِلْمِهِ الأَرَاذِل ..
سَلْ خَدِيجَةَ عَنْ حَمَالَتِهِ الْكَلَّ وَمَنْ نَاءَتْ بِحِمْلِهِ الْكَوَاهِل ..
سَلِ الْهُلاَّكَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ كَيْفَ كَانُوا عِنْدَهُ فِى رَحْمَةٍ وَتَوَاصُل ..
سَلِ الْيَتَامَى : مَنْ كَفَلَهُمْ ؟ وَاسْأَلْ عَنْ حَنَانِهِ الأَرَامِل ..
سَلِ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ : مَنْ وَضَعَهُ فِى مَكَانِهِ ؟ وَمَنْ كَانَ لِلأُمُورِ الْجَلاَئِل ؟ ..
سَلِ الْحُكَمَاءَ إِذَا تَكَلَّمَ هُوَ .. فَهَلْ هُنَاكَ مَقَالَةٌ لِقَائِل ؟ ..
سَلِ الأَصْحَابَ عَنْ دِفَاعِهِ عَنِ الْحَقِّ ، وَكَيْفَ كَانَ يُنَاضِل ؟ ..
سَلْ رَايَةَ التَّوْحِيدِ : مَنْ رَفَعَهَا فَهُدِّمَتْ لِلشِّرْكِ الْمَعَاقِل ؟ ..
سَلِ الْعَدْلَ كَيْفَ تَحَقَّقَ ؟ فَسَارَتْ بِأَمَانِهِ الظَّعَائِنُ وَالْقَوَافِل ..
سَلِ الدُّنْيَا : هَلْ زَانَهَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ مُمَاثِل ؟ ..
لَوْلاَهُ لاَنْعَدَمَ الْهُدَى وَمَا كَانَ فِى النَّاسِ عَالِمٌ أَوْ فَاضِل ..
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَقِنَا بِحُبِّهِ شَرَّ النَّوَازِل ..
وَارْزُقْنَا شَفَاعَتَهُ عِنْدَ الْخُطُوبِ وَفِى كُلِّ الْمَنَازِل ..

أما بعد ،،

فإن أشرف العلوم العلمُ بــ ((الله)) .. وإن أشرف المعــارف معرفــةُ ((الله)) .. ولذا نقدم إليك – أيها القارئ الكريم – هذه المحاولة المتواضــعة ، فى الاقتراب من معرفة ((الله)) تبارك وتعالى ..

۞ موضوع هذا الكتاب .. وبكل الصدق والشوق .. موضوع شائق .. شائك .. وهل هناك أشوق من الحياة مع واهب الحيــاة ؟! تــأنس لنــوره ورحمته .. وتَشْرفُ وتستشرِف لحنانه ومودته ؟ ..

۞ ولكن إذا تكلمت عنه .. فالأمر بقدر حلاوته ومتعته يختلف .. إنــه بقدر اليُسر صعب .. وبقدر البساطة شاق ..

۞ ذلك أن البيان يعجز عن البيان .. وأن اللســان يخــذل اللســان .. فسبحانه .. سبحان من هو كل يوم فى شأن ..

وكذلك ترى كيف أن السبيل شائك ..

۞ ولكن إذا كان لابد من المسير .. فى حديث عن العلى الكبير .. فإننى أستعين بصفات الجمال فيه ، وأستعيذ بعفوه وأستهديه .. من كل قصــور .. أو خطأ .. لابد أن أقع فيه .. أستعيذ به منه .. لا أحصــى ثنــاء عليــه .. وأستعين بنور الجمال فيه .. من متعلقات الجلال فيه ..

۞ ولعل نور جماله .. شافع لى ورِدء لدى كمال جلاله ..

وعذرى — بين يدى رحمته — يعلمه سبحانه ويراه .. فمن يملك كفاءة الكلام عن الله سواه ؟ .. هو ((الله)) ..

۞ هذا .. وقد حرصت – أيها الأخ المسلم – أن أضع بين يـــديك فى هذا الكتاب ملخصًا وافيًا لكل ما أتيح من آراء حـــول موضـــوعه الجليـــل "التوحيد وأسماء الله الحسنى" كما رآها السلف الصالح .. وجوهًا متعـــددة للموضوع .. متشرفًا بالإدلاء بدلوى فيه ..

۞ لنخرج معًا بأكبر قدر من الأنوار حوله .. وإن كانت أنواره لا تزال تتجدد وتتضاعف مع الزمن جيلاً بعد جيل – على يد القادمين من علمـــاء المسلمين – حتى يرث ((الله)) الأرض ومَنْ عليها ..

۞ وما كل ما قال السلف .. ثم ما قال وسيقول الخلف .. إلا روافد لنهر الاجتهاد .. نسأل ((الله)) القبول .. ونقر أولا وأخيرًا .. ودائمًا .. بعجزنـــا وقصورنا الكاملين .. مفوضين العلم بمراد ((الله)) إليه سبحانه .. فما يعرف حقيقة ((الله)) عز وجل .. إلا ((الله)) عز وجل .. هو ((الله)) ..

۞ وإذا أردت تتبعًا لسلسلة مَنْ تناول الموضوع من الخلف والســـلف .. فإنـــها تبدأ من أقرب الناس إلى سيد الخلق أجمعين – عليه الصـــلاة وأزكـــى السلام – من بيت النبوة ذاته .. ممن قضى ((الله)) أن يطهرهم مـــن أهـــل البيت .. من سيدتنا الجليلة أمّنا وأم المؤمنين « أم سلمة » – رضى الله عنها – ثم

الصحابة – رضوان الله عليهم – ثم « الأئمة الأربعة » .. و« نعيم بن حماد » شيخ الإمام « البخارى » .. و« سفيان الثورى » .. و« ابـــن المبـــارك » .. و« ابن عيينة » .. و« وكيع » شيخ الإمام « مالـــك » .. و« محمـــد بـــن الحسن » ، و« البخـــارى » .. و« ابـــن تيميـــة » .. و« ابـــن القـــيم » ، و« البغوى » ، و« الرازى » ، و« الجلالين » ، و« الألوسى » .. وغيرهم من علماء الحديث والتفسير ..

نسأل ((الله)) .. المغفرة والقبول وحسن الخاتمة .. إنه سميع مجيب ..

ياسين محمد رشدى

تَمّت – بفضل الله كتابته – بـــ « الإسكندرية »

فى رمضان ١٤٠٩ هـــ – أبريل ١٩٨٩

إِثْبَاتُ وُجُودِ ((اللهِ)) عَقْلاً

الْوُجُود :

للأشياء وجود فى الأعيان ، وهو الوجود الأصلى الحقيقــى ، ووجــود فى الأذهان ، وهو الوجود العلمى الصورى ، ووجود على اللسان ، وهو الوجــود اللفظى الدليلى .

القول باللسان : دليل على ما هو فى الذهن ، وما هو فى الذهن صورة لما فى الوجود الحقيقى مطابقة له .

لو لم يكن وجود فى الأعيان .. لم تنطبع صورة فى الأذهان ، ولو لم تنطبــع صورة فى الأذهان .. لم يشعر بــها إنسان ، ولو لم يشعر بــها إنسان .. لم يُعبَّر عنها باللسان .

اللفظ والعِلْم والمعلوم : ثلاثة أمور متباينة ولكنها متطابقة متوازية ، وكيف لا تكون متباينة وتَلحق كل واحدة منها خواص لا تلحق الأخرى ؟!

فالإنسان – من حيث أنه موجود فى الأعيان – يلحقه أنه : نائم ويقظــان ، وميت وحى ، ومريض وصحيح ، وماشٍ وقاعد .. ومن حيث هو موجــود فى الأذهان – يلحقه أنه : مبتدأ وخبر ، وعام وخاص ، وجزئى وكلى ، وغير ذلك .. ومن حيث هو موجود على اللسان – يلحقه أنه : عربى أو إنجليزى أو فرنسى .. وكثير الحروف وقليلها وأنه اسم وفعل وحرف وهكذا .. وعليه فإن الاسم غــير المسمى وغير التسمية .

فالاسم هو ((الله)) .. والمسمى – سبحانه – هو الذات العلية .. أما التسمية : فإما أن الناس أطلقوها ، وإما أن التسمية تمت منه فوضع الاسم للعباد .. وعلى كل الأحوال فالاسم معلوم من الأزل من حيث هو ومعناه ، وحين ألهم ((الله)) العباد بالنطق به ، ووُجِدَ اللافظ واللفظ ، حدث الوجود على اللسان بالنطق باسم الذات ، فهو قديم من حيث الوجود العِلْمى ، لأنه معلوم للذات العلية من الأزل ، حادث من حيث الوجود اللفظى على ألسنة العباد .

أقْسَامُ الْمَعْلُوم :

الوجود اللفظى الدليلى يؤدى بالضرورة إلى الوجود الصورى العِلْمى .. ولفظ ((الله)) دليل على وجود العلم ((بالله)) فى الذهن .. وهذا المعلوم الذى يدل عليه اللفظ أقسام :

١– **المستحيل لذاته** : وهو ما كان عدمه لذاته ، وليس لعلة اقتضت عدمه غير ذاته وحقيقته ، ومثال المستحيل اجتماع النقيضين : ككون الشىء موجودًا معدومًا فى آن واحد .. أى موجودًا غير موجود .. وهو ما يجزم العقل بعدمه ، فالمستحيل لا يوجد قطعًا لا فى الذهن ولا فى الحقيقة .

٢– **الممكن لذاته** : وهو ما لا وجود له ولا عدم من ذاته ، وهو ما لا تقتضى ذاته الثبوت ولا الانتفاء ، بل يجوز لها الأمران بحسب العِلَل .. ومثال الممكن جميع الموجودات التى ندركها بحواسنا .. والتى من أحكامها : أنها لا توجد إلا بسبب ولا تنعدم إلا بسبب .. ومن أحكامها أنّها إن وجدت ، أن تكون حادثة .. لأنه ثبت أنها لا توجد إلا بسبب ، ولابد للسبب أن يتقدم وجودها ، وعليه فتكون

مسبوقة بالعدم – فى مرتبة وجود السبب – فتكون حادثة ، لأن الحادث هو ما سبق وجوده العدم ، وبالتالى فكل الممكنات حادثات .. ومن أحكامها أيضا أنـــها كمـــا احتاجت إلى السبب فى وجودها ابتداء ، فهى محتاجة إلى سبب فى بقائها ، فهـــى فى كل أحوالها محتاجة إلى مرجِّح للوجود على عدمه ، لا فرق بين الابتداء والبقاء .

هذا السبب الذى يرجح الوجود على العدم هو منشأ الإيجاد ، ومعطى الوجود ، وهو الذى يُعبَّر عنه بالموجد وبالعلة الموجِدة أو العلة الفاعلة أو الفاعـــل الحقيقـــى .. واستفادة الوجود تقتضى سبق مالكٍ للوجود يعطيه للمستفيد منه .. وأن يكون وجود المستفيد مُستمدًّا من وجود الواهب ، لا يقوم إلا به .. فلا يستقل بنفسه دونه فى حال من الأحوال .

مادام كل ممكن محتاجًا إلى سبب يعطيه الوجود ، فكل الممكنات الموجودة محتاجة إلى موجد لها خارج عنها .. فلابد أن يكون هو الموجد للوجود ، إذ ليس هناك بعد الممكنات إلا المستحيل أو الواجب .. والمستحيل منعدم أصلاً .. فلا يبقى إلا :

٣– واجب الوجود : وهو ما كان وجوده لذاته من حيث هى ، وهو كذلك لغير علة اقتضت ذلك غير ذاته وحقيقته ، أى إن ذاته إذا تُصوِّرت مجردة من كـــل اعتبار لم تكن إلا كذلك ، ومثال الواجب الوجود تَصوُّر الذهن : « الزوجيـــة » للأربعة ، و« الفردية » للثلاثة — فى الأعداد – و« الذكورة » للذكر ، و« الأنوثة » للأنثى .. فإنـــها لا تُتصور غير ذلك .

أحْكَامُ الْوَاجِب :

١– أن يكون قديما أزليًّا .. لأنه لو لم يكن كذلك لكان حادثًا ، والحادث مـــا

سُبق وجوده بالعدم .. فيكون وجوده مسبوقًا بالعدم ، وكل ما سُبق بالعدم يحتاج إلى علة تعطيه الوجود ، فلو لم يكن الواجب قديمًا لكان محتاجًا فى وجوده إلى موجود غيره وهذا مستحيل ، لأن الواجب هو ما كان وجوده لذاته ، ولابد أن يكون هو الموجد للموجودات .

٢- أن لا يطرأ عليه عدم .. وإلا لزم سلب ما هو للذات عنها فيؤدى إلى سلب الشيء عن نفسه وهو محال .

٣- أن لا يكون مركَّبًا .. إذ لو كان كذلك لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته - التى هى ذاته - وكل جزء من أجزائه غير ذاته .. فيكون وجود ذاته محتاجًا إلى وجود غيره ، والواجب ما كان وجوده لذاته .. كما أنه لو كان مركبًا لتوقف الحكم بوجوده على وجود أجزائه .

٤- أن لا يكون قابلاً للقسمة .. لأنه لو قبلها لنتج عنها وجودات متعددة ، وهى وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة .. فيكون ذلك قبولاً للعدم أو تَرَكُّبًا ، وكلاهما محال كما سبق .

٥- أن يكون عالما .. وأن يكون علمه قد سبق المعلوم حتى يأتى المعلوم وفق العلم القديم الأزلى .

٦- أن يكون قادرًا .. حتى يأتى بالممكنات ، ويملك أسباب بقائها كما يملك أسباب عدمها .

٧- أن يكون مختارًا (مُريدًا) .. لأن الممكنات وُجدت فى أوقاتها التى وجدت فيها ، وبمقاديرها التى وجدت عليها ، وكان فى الإمكان غير ذلك .. إذًا فهذا

التقدير للممكنات تم وفق إرادته الأزلية .

٨- أن يكون حيًّا .. حتى يهب الحياة للمُمكنات .. لأن فاقد الشـــىء لا يعطيه .. ولابد أن تكون حياته أبدية أزلية لا يطرأ عليها موت ، ولا يعتريها عدم ، ولا تنقص بنوم أو غفلة ، وإلا نقصت القدرة والاختيار والعلم وذلك مستحيل ، لأن الممكنات فى بقائــها وحركاتــها وسكونـــها تفتقر إلى وجوده المطلق .

٩- أن يكون منفردًا بالوجود المطلق .. ولا يكون هناك واجب للوجود أو واهب للوجود غيره .. لأنه لو وجد غيره لكان معاونًا أو مناوئًا .. ولو كان - هذا الغير - معاونًا لانتقص هذا من قدرته ، ولأصبح محتاجًا إلى غيره .. ولو كان - هذا الغير - مناوئًا ، لفسدت الممكنات لاختلاف الإرادات والاختيارات .

١٠- أن لا يكون جوهرًا يتحيَّز .. لأن كل جوهر يتحَيَّزُ فهو يختص بحيِّزه .. ولابد أن يكون فيه ساكنًا أو متحركًا ، والسكون والحركة حادثان .. وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث .

١١- أن لا يكون جسمًا (مُؤَلَّفًا من جواهر) .. وإذا بطل كونه جـــوهرًا مخصوصًا بحيِّز بطل كونه جسمًا ، لأن كل جسم مختص بحيِّز ومركب من جواهر ، ولابد أن تكون له هيئة ومقدار .. وهذه من صفات الحدوث .

١٢- أن لا يكون عَرَضًا قائما بجسم أو حالاًّ فى محل .. لأن العرض الموجود فى محل لا يقوم بنفسه .. ولابد له من جسم يحل فيه .. وكل جسم حادث لا محالة ، ويكون محدثه موجودًا قبله .. فكيف يكون واجب الوجود حالاًّ فى جسم ، وقد كان موجودًا من الأزل وحده ؟! فلابد أن يكون موجودًا قائمًا بنفسه .. ليس بجوهر ، ولا

جسم ، ولا عَرَض ، ولا يحل فى سواه ، وليس فى ذاته سواه .

١٣- أن لا يكون مختصًّا بجهة .. لأن الجهة إما فوق أو تحت أو يمين أو شمال أو أمام أو خلف ، وهذه الجهات حادثة بحدوث الإنسان منسوبة إليه .. ناشئة من هيئته .. فما فوق رأسه فوق .. وما تحت قدمه تحت .. وهكذا .. ولو لم يُخلق الإنسان بالكيفية التى هو عليها – وكان كالكرة مثلاً – لما كان لهذه الجهات وجود .. إذًا فلا يمكن أن يكون واجب الوجود مختصا بجهة .. وكيف يكون واجب الوجود مُختصًّا بجهة ، والجهة حادثة ؟! أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم تكن له ؟

١٤- أنه ما من صفة من صفات الكمال فى خلقه إلا وهو مُتَّصف بها على الوجه الأكمل والأمثل .. إذ لا يعقل أن يكون المخلوق أكمل من الخالق .

مما سبق يتضح أن واجب الوجود : واحد لا شريك له .. فرد لا مِثْل له .. صمد لا ضد له .. منفرد لا ند له .. قديم لا أول له .. أزلى لا بداية له .. مستمر الوجود لا آخر له .. أبدى لا نهاية له .. قيوم لا انقطاع له .. دائم لا انصرام له .. وأنه ليس بجسم مصوَّر .. ولا بجوهر محدود مقدَّر .. ولا يماثل الأجسام : لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام .. ولا هو بعَرَض ، ولا تَحُلُّه الأعراض .. ولا يماثل موجودًا ، ولا يماثله موجود .. ولا يحده المقدار .. ولا تحويه الأقطار .. ولا تحيط به الجهات .. وأنه حىّ لا تأخذه سِنَة ولا نوم .. ولا يعارضه فناء ولا موت .. قادر : لا يعتريه قصور ولا عجز .. وأنه منفرد بالخلق والاختراع .. متوحِّد بالإيجاد والإبداع .. عالم بجميع المعلومات .. وعلمه قديم أزلى لم يزل موصوفًا به من الأزل .. وليس بعلم متجدد حاصل فى ذاته بالحلول والانتقال .. وأنه مريد للكائنات .. مدبر للحادثات .. فما شاء

كان وما لم يشأ لم يكن .. لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر .. ولا فلتة خاطر .. وهو المبدئ المعيد .. الفعال لما يريد .. لا راد لأمره .. ولا معقِّب لقضائه .. وإرادته قائمة بذاته فى جملة صفاته .

وإذا ثبت كل ذلك ، فلابد للعقل أن يوقن بضرورة وجود اتصال بين موجد الوجود وبين كل مكلَّف موجود حتى يعرفه .. ويعرف المراد منه .. والحكمة أو الغرض من إيجاده .. وهذا الاتصال لكى يتم يجب أن يكون من خلال واسطة حيث يتعذر على الفانى أن يعقل أو يتصل بالباقى .

وهذه الواسطة لابد أن يختارها واجب الوجود بنفسه حتى يؤهلها لكى تعقل عنه .. ولابد أن تكون الواسطة من جنس من يريد إعلامه بوجوده وبأوامره ونواهيه حتى يعى عنه .. ومن هنا يتضح وجوب إرسال الرُّسُل وبعثتهم .. حتى يُعرف ((الله)) بالشرع والنقل ، بعد أن قاد إلى وجوده الفكر والعقل .. وهنا يعمل العقل فى تقرير صدق الرسول الذى يُعْلن عن نبوَّته ، فإن ثبت للعقل صدقه بالدلالات ، أو الاستدلالات ، أو البينات ، أو المعجزات .. وجب الإيمان به ، والاستماع له حتى نعقل عنه ، ووجب التسليم ، وانتهى دور العقل حينئذ .. وقد دلَّنا الرسول (ﷺ) على صفات ((لله)) وجب الإيمان بها وهى : **[السَّمْعُ والْبَصَرُ والْكَلامُ والاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْش]** ..بما أُوحِيَ إليه مثل : (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (1) .. (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) (2) .. (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) (3) ..

(1) سورة الشورى آية ١١ . (2) سورة النساء آية ١٦٤ . (3) سورة الأعراف آية ٥٤ .

وصفة البصر : هى ما به تنكشف المبصرات ، **وصفة السمع** : هى ما به تنكشف المسموعات .. وأثبتت الآية لله الصفتين بعد نفى الْمِثْلِ عنه : مما ينفى كذلك مماثلة الصفات . ويجب أن نعتقد أن البصر والسمع بغير جوارح .. وهى من صفات الكمال الواجبة ((لله)) بدليل قول الله حكاية عن « إبراهيم » : (لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِى عَنكَ شَيۡـًٔا) [1] وهو سبحانه لا يعزب عن سمعه مسموع .. ولا يغيب عن رؤيته مرئى .

وصفة الكلام : تعنى أنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته ، يتكلم بها بمشيئته وقدرته .. فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إن شاء .. وما تكلم ((الله)) به فهو قائم بذاته ، ليس مخلوقًا منفصلاً عنه .. ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها .. بل هو تابع لمشيئته ، وقدرته ، ولا يشبه كلامه كلام غيره .

وصفة الاستواء : أنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله ، وبالمعنى الذى أراده ، استواء منزهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال .. وإن العرش لا يحمله بل العرش وحملته محمولون بقدرته ، مقهورون فى قبضته .. والاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب .

كما دلّنا (ﷺ) على صفات أخرى جاءت فى سورة « الإخلاص » : (قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾) ..

---

[1] سورة مريم آية ٤٢ .

الواحد الحقيقى : ما يكون منـــزه الذات عن التركيب والتعدد .. وما يستلزم أحدهما كالجسمية ، والتحيُّز ، والمشاركة .. وكلمة « أَحَدٌ » دلت على نفى الشريك مـــن كل وجه : فى الذات ، أو فى الصفات ، أو فى الأفعال .. كما دلت علـــى تفـــرده سبحانه بصفات الجلال والكمال ، ولهذا لا يطلق لفظ « أَحَدٌ » فى الإثبات إلا على ((الله)) عز وجل .

« الصَّمَدُ » : أى المصمود إليه فى الحوائج مِنْ « صَمَدَ » إذا قَصَدَ ، فإنه يستغنى عن غيره مطلقًا ، وكل ما عداه محتاج إليه ، و« الصَّمَدُ » أيضًا الذى لا جوف له وهـــو الذى كَمُلَ فى أنواع الشرف والسؤدد ، أو هو : الدائم .

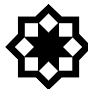
« لَمْ يَلِدْ » : لأنه لم يجانس ، ولم يفتقر إلى من يعينه ، أو يخلف عنه .. ذلك لامتناع الحاجة والفناء عليه .

« ولَمْ يُولَدْ » : لأنه لا يفتقر إلى شىء ، ولم يسبقه عدم ، ولم يتفرع من شىء .

« ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » : أى لم يوجد أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة وغيرها ، وهو المنفرد بصفات الجلال والكمال والعزة والكبرياء .

وكذلك وصف الله نفسه بأنه « الْحَىُّ القَيُّومُ » : كلمة « الْحَىُّ » تتضـــمن جميـــع صفات الكمال الذاتية .. وكلمة « القَيُّومُ » تتضمن جميع صفات الكمال الفعلية .

ولمزيد من التعرف على ((الله)) من خلال مـــــا ورد فى القـــرآن .. وفى أحاديث سيد الأنام (ﷺ) من أسماء وصفات .. هلمّ بنا نحاول أن نستشرف أنوار المعانى فى « أسماء الله الحسنى » .



أصل الكلمة (إلاه) وهى تطلق على كل معبود ، ثم حذفت الهمزة ، وعوض عنها بالألف واللام ، فأصبحت ((الله)) .

هذا الاسم يختص بالمعبود الحق .. هو ((الله)) .

أهو اسم جامد غير مشتق – أم أنه مشتق ؟ أقوال :

(١) هو اسم جامد غير مشتق لأنه ، أولا : لم يُثَنَّ و لم يجمع . ثانيًا : لأنه لو كان مشتقًّا لاستلزم وجود مادة يُشتق منها ، واسمه – تعالى – قديم قدم ذاته ، والاشتقاق حادث ، والقديم لا مادة له كسائر الأعلام المحضة التى لا تتضمن صفات تقوم بمسمياتها .. فهو اسم للموجود الحق .. **الجامع لصفات الأُلوهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى .**

(٢) هو اسم علم موضوع للذات العلية . علم لذاته المخصوصة الجامعة لصفات الأُلوهية كلها حتى لا يشذ منها شىء ، **وهو يوصف ولا يوصف به** ، فنقول : « الله الرحمن الرحيم » ولا نقول : « الرحمن الرحيم الله » .. وسائر الأسماء كذلك .

فكل اسم منها منزَّل على آحاد المعانى ، ولأنه لابد له من اسم تُجرى عليه صفاته ولا يصلح له ما يطلق على سواه .. **وهو ليس وصفًا** ، لأنه لو كان وصفًا لم يكن قول « لا إله إلا الله » توحيدًا ، مثل « لا إله إلا الرحيم » فإنه لا يمنع الشركة .

(٣) هو اسم مشتق .. وعلى القول بالاشتقاق فإنه يكون وصفًا فى الأصل ولكـــن غلبت عليه العَلَمِية ، وغلب عليه – سبحانه – بحيث لا يستعمل فى غيره وصار له كالعَلَم ، واستغنى عن التعريف بغيره ، وعُرِّف غيرُه بالإضافة إليه ، فيقـــال : « الصبور العليم الجبار من أسماء الله تعالى » ، ولا يقال : « الله من أسماء الرحيم » أو « العليم » وعليه فإن الأسماء **تضاف إليه ولا يضاف هو إلى الأسماء** .

وإن كان الاسم مشتقًّا فهو مشتقٌّ من أحد الأفعال الآتية :

(أ) أَلِهَ يأْلَهُ إِلاهةً وأُلُوهَةً وأُلوهيَّةً ... بمعنى عُبِد ... ومنه تألَّهَ واستأْلَهَ .

(ب) أَلِه إليه بمعنى سَكَنَ إليه ... لأن القلوب تطمئن بذكره ، والأرواح تسكن إلى معرفته .

(ج) أَلَهَ بمعنى تحيَّر ... إذ تتحير فى معرفته العقول والأفهام .

(د) أَلِهَ بمعنى فزع من أمر نزل به – وآلَهَهُ غيره أى : أجاره ... إذ العائذ يفزع إليه ، وهو يجيره حقيقة .

(هـ) أَلِه الفصيل [١] : إذا ولع بأمه وتعلق بـــها ، إذ العباد يُولعون بالتضـــرع إليـــه واللجوءِ إليه فى الشدائد .

(و) لاهَ يليهُ لَيْهًا ولاهًا : إذا ارتفع واحتجب ... لأنه محجوب عن إدراك الأبصار ، ومرتفع عن كل شىء .

هذا الاسم ((الله)) هو أكبر أسمائه تعالى وأجمعها ، وقيل هو الاسم الأعظم الذى إذا

[١] الفصيل : ولد الناقة إذا فُصِل عنها لكى يُفْطَم عن الرضاعة .

دُعى به أجاب .. وإذا سُئل به أعطى ، ولذلك لم يُسمَّ به غيره مصداقًا لقوله عز وجل : (هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا) [1] والمعنى – فى أحد التفسيرات – : هل هناك مشابه لـــه فى الاسم ؟ .. فهو اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية ، المنعــوت بنعــوت الربوبية ، المنفرد بالوجود الحقيقى ، فإن كل موجود سواه غير مستحق للوجـــود بذاته ، وإنما استفاد الوجود منه عز وجل .. هو ((الله)) ..

الرَّحْمَـــٰــنُ الرَّحِيمُ

اسمان كريمان من أسمائه الحسنى ، دالاَّن على اتصافه – تعالى – بصفة « الرحمة » وهى صفة حقيقية له – سبحانه – على ما يليق بجلاله . « الرَّحْمَـــٰــنُ » : الذى وسعت رحمته كل شىء فى الدنيا ، لأن صيغة « فَعْلان » تدل على الامتلاء والكثرة .. و« الرَّحِيمُ » : الذى يختص المؤمنين برحمته فى الآخرة .

« الرَّحْمَـــٰــنُ » : دالّ على الصفة القائمة بالذات ، و« الرَّحِيمُ » : دال على تعلقها بالمرحوم ، ولهذا لم يجئ اسم « الرَّحْمَـــٰــنُ » متعديا فى القرآن .. قال تعالى : (وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا) [2] ولم يقل « رحمانًا » ..

و« الرَّحْمَـــٰــنُ » اسم ووصف .. فمن حيث هو صفة : جرى تابعًا على اسم الله فى قوله : (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) .. ومن حيث هو اسم : ورد فى القرآن غير تابع بل وَرَدَ ورود الاسم العلم فى قوله تعالى : (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ)[3] ..

---

[1] سورة مريم آية ٦٥ . [2] سورة الأحزاب آية ٤٣ . [3] سورة طه آية ٥ .

وفى قوله : (ٱلرَّحۡمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢)[1] .. وفى قولـــه : (قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَـٰنَ)[2] ..

والاسمان مشتقان من الرحمة ، والرحمة التامة : إفاضة الخير على المحتـــاجين .. والرحمة العامة : هى التى تعم المستحق وغير المستحق .. ورحمة ((الله)) تامة عامة .. لأنـــها من حيث تمامها : أنه إذا أراد قضاء حاجة المحتاج قضاها .. ومن حيث أنـــها عامة : فقد شملت المستحق وغير المستحق ، وعمت الـــدنيا والآخـــرة ، وتناولـــت الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها .. فهو « الرَّحِيمُ » المطلق حقا ..

والرحمة فى عرف الإنسان لا تخلو عن رقة مؤلمة تعترى « الرَّحِيم » فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم ، فهو يكاد يقصد بفعله دفع التألم عن نفسه .. فيكون قد نظر إلى نفسه وسعى فى غرضها .. والكمال أن ينظر إلى المرحوم لأجل المرحـــوم نفســـه لا لأجل دفع التألم عن نفس الرحيم .. كما أن الرحيم من الناس قد لا يتمكن من إيصال الخير إلى المحتاج وإن رغب فى ذلك ، أما الكمال فهو القدرة على دفع حاجة المحتاج فعلاً .. و« الرَّحْمَـــٰـــنُ » يفهم منه نوع من الرحمة هى أبعد من مقدورات العباد ، فهو العطوف على العباد أولا : بالإيجاد .. ثم بالهداية للإيمان ، وأسباب السعادة .. ثم الإسعاد فى الآخرة والإنعام بالنظر إلى وجهه الكريم ..

ولذلك فإن « الرَّحْمَـــٰـــن » أخصُّ من « الرَّحِيم » ، قال تعالى : (ٱلرَّحۡمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤)[3] وقد قيـــل : إن الله رحْمَـــٰـــن الدنيا والآخرة ، ورحيم الآخرة .. و« الرَّحْمَـــٰـــنُ » : لا يُسمَّى به غير

---

[1] سورة الرحمن آية ١ ، ٢ . [2] سورة الإسراء آية ١١٠ . [3] سورة الرحمن الآيات من ١ : ٤ .

الله ، أما « الرَّحِيم » : فقد يطلق على غيره ..

وقد قال النبى (ﷺ) : (إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) [1] .. وكل ما تراه فى الدنيا من آلام ومصائب وأمراض وما إلى ذلك من شرور فهو رحمة وإن خفيت على الناس .. فالخير رحمة ، وهو مراد لذاته ، والشر رحمة ، لما فيه من إرادة الخير .. والشر غير مراد لذاته .. وهذه الأمور من أسرار القضاء والقدر الذى أمرنا أن نؤمن به .. خيره وشره .. حلوه ومره ..

سبحان من وسعت رحمته كل شىء .. سبحان الرحمن الرحيم .. هو ((الله)) ..

الْمَلِكُ

« الْمَلِكُ » هو الذى يستغنى فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، عن كل موجود .. ويحتاج إليه كل موجود ، ولا يستغنى عنه فى وجوده وبقائه وصفاته ، فوجوده منه أو مما هو منه ..

وأى مَلِكٍ من الناس لا يستغنى عن كل شىء – فإنه فقير إلى الله ، ومحتاج إلى التأييد من الرعية ، والحفظ والحماية من الأعداء ، والوقاية والعلاج من الأدواء .. ولا يُتصور أن يحتاج إليه كل شىء .. بل قد يحتاجه البعض ولا يحتاجه البعض الآخر ، والمحتاجون هم جزء من رعيته .. وهناك ممالك أخرى لها ملوكها سواء من الإنس أو الجن أو الحيوانات وما إلى ذلك .. ثم إن هذا الْمُلْك زائل لا محالة بأحد شيئين : إما الموت ، وإما استيلاء الغير عليه ..

[1] رواه البخارى كتاب التوحيد .

أما ((الله)) تبارك وتعالى فهو الملك المطلق حيث يستغنى عن كـــل شـــىء ، ويحتاجه كل شىء فى كل شىء .. وملكه دائم لا يزول .. وهو المالك للملك لأنه هو الخالق الموجد للملك والملكوت .. فهو يملك الدنيا والآخرة .. ويوم تقـــوم القيامـــة تسقط الدعاوَى كلها .. وينادى الرب تبارك وتعـــالى : (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ) فـــلا يجيبه أحد فيقول : (لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) [1] .. ويقبض السماوات والأرض بيمينـــه ويرجها رجًّا ويقول : (أَنَا الْمَلِكُ .. أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ ؟! أَيْنَ الْجَبَّـــارُونَ ؟! أَيْـــنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟!) [2] .

تعاليت « رب الوجود » ومالكه .. تساميت « ملك الملوك » ، و« مالك كل مالك ومملوك » .. تعاليت يا ((الله)) .. تعالى ((الله)) .. هو « الْمَلِكُ » هو ((الله)) ..

الْقُدُّوسُ

الاسم مشتق من « الْقُدْس » بمعنى الطهارة ومنـــه « الأرض المقدســـة » أى الطاهرة .. والمتصف بـــهذا الاسم هو المنـــزه عن النقائص والآفات ، المنعوت بنعوت الكمال ، بل هو منـــزَّه عن صفات الكمال المتعارف عليها بين البشر ، والقياس على صفات البشر – من نقص وكمال – سوء فهم إن لم يكن سوء أدب ..

فهو سبحانه منـــزَّه عن كل وصف يدركه الحس ، أو يتصوره الخيـــال ، أو يسبق إليه وهم ، أو يختلج به ضمير ، أو يقضى به تفكير .. وقصارى ما فعله الناس أن

---

[1] سورة غافر آية ١٦ .

[2] رواه البخارى كتاب التوحيد ، ومسلم كتاب صفة القيامة .

قسموا صفاتـــهم إلى صفات كمال وصفات نقص .. فنـــزهُوه – سبحانه – عن صفات نقصهم ، وهو – فى الحقيقة – منـــزه عن صفات كمالهم وما يماثلـــها أو يشابـــهها .. وقد قيل : (كُلُّ ما خَطَرَ بِبَالِكَ فاللهُ خِلافُ ذَلِكَ) ..
سبحانه .. سبحان القدوس .. هو ((الله)) ..

السَّلاَمُ

« السَّلاَمُ » هو الذى تَسْلَمُ ذاته من العيب ، وصفاته من النقص ، وأفعاله من الشر ، وكل ما فى الوجود من سلامة فهى صادرة منه .. وأفعاله – تعالى – سالمة من الشر المطلق المراد لذاته ، إذ ما من شر فى الوجود إلا وضمنه خير أعظم منه .. والسَّلاَمُ المسلِّمُ للمؤمنين من العذاب ، المسلِّمُ عليهم فى دار القرار ..
سبحانه وتعالى .. هو السلام .. هو ((الله)) ..

الْمُؤْمِنُ

« الْمُؤْمِنُ » هو الذى لا يُتَصور أمن أو أمان إلا ويكون مستفادًا من جهته .. ولا يُتَصور أمن إلا فى محل الخوف ، ولا خوف إلا عند إمكان العـــدم والـــنقص والهلاك .. والمؤمن المطلق هو الذى يفيد أسباب الأمن والأمان ، ويســـد طـــرق المخاوف .. والخلق ضعفاء معرَّضُون لأسباب التلف والهـــلاك : مـــن داخلـــهم بالأمراض والآفات ، ومن خارجهم بالأعداء والأدواء ، والله تبارك وتعالى هو الذى رزقهم أسباب الأمن من حواس وأدوية وحصون وجوارح وأســـلحة وألهمهـــم

استعمالها .. والمحروم من كل ذلك رزقه وسائل الهرب : كالأجنحة للطيور ، والتخفى عن طريق التشكُّل والتلوُّن عند أنواع من الحيوانات الصغيرة .. وأعظم المخاوف هلاك الآخرة .. والتحصن منها يكون بكلمة التوحيد التى هدانا إليها – سبحانه – وهو القائل : (لا إله إلا الله كلامي ، وأنا هو ، فمن قالها دخل حصني ، ومن دخل حصني أَمِن عقابي) [(١)] ..

وقد يستفاد أيضًا من الاسم أنه مصدق لأصفيائه بإظهار المعجزات والكرامات الدالة على صدقهم وهو القائل : (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ) [(٢)] .. وهو المصدق لنفسه أنه صادق فى وعده إذ قال : (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ) [(٣)] ..

تبارك من أمن له الوجود .. وأمن به الوجود .. تبارك المؤمن .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْمُهَيْمِنُ

« الْمُهَيْمِنُ » هو القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وحركاتهم وسكناتهم .. وقيامه عليهم باطلاعه وحفظه واستيلائه ، وهو المشرف على كُنْه هذا العالم ، وكل العوالم بما فيها من دقيق وجليل ، الحافظ لها والقائم عليها بالعناية والرعاية والحفظ ومنع الجور والتعدى المهلك ، أو المستأصل ، أو المتجاوز الحدود .. ولو تأملت فى الوجود ، لوجدت التوازن فى كل شىء ..
عز « الْمُهَيْمِنُ » وجَلَّ .. سبحانه .. هو ((الله)) ..

---

(١) حديث قدسى رواه ابن النجار عن على . (٢) سورة المنافقون آية ١ . (٣) سورة آل عمران آية ١٨ .

الْعَزِيزُ

« الْعَزِيزُ » من العِزَّة أى القوة والغلبة ، وهو من « الشىء العَزِيز » أى النــادر الذى يصعب وجود مثله ، وهو أيضًا بمعنى الممتنع ، الذى يصعب الوصول إليـه ، وتشتد الحاجة إليه ، ويقل وجود مثله ، ولابد من اجتماع هذه الأمور الثلاثة حتى يطلق عليه « الْعَزِيز » .. والعزيز المطلق هو الممتنع عن الإدراك المرتفع عن أوصاف الممكنات .. الذى جلَّت مكانته فلا يَزِلّ ، وبَعُدَ عن الأفهام فلا يُدْرَكُ .. واستغنى بذاته ، فلا يحتاج إلى غيره .. المنفرد بالوجـود المطلـق بغير شبيه ولا مثيل .. فلا « عزيز » على الحقيقة غيره ..

والعزيز بحق .. هو ((الله)) ..

الْجَبَّارُ

« الْجَبَّارُ » هو الذى تنفذ مشيئته – على سبيل الإجبار – فى كـل أحـد .. ولا تنفذ فيه مشيئة أحد .. وهو الذى لا يخرج أحد عن قبضته .. وتقصر الأيـدى دون حمى حضرته .. والجبار المطلق هو ((الله)) تعالى .. وقيل إنه من الجبر بمعنى الإصلاح من « جبرت الشىء إذا أصلحته » ، و« الْجَبَّارُ » هو الذى يجبر أحوال خلقه أى يصلحهم .. وسبحان من يذعن له الكل ، ويخشع له الكل ، ويصلح ويبرأ به الكل .. سبحانه وتعالى ..

هو ((الله)) ..

الْمُتَكَبِّرُ

« الْمُتَكَبِّرُ » هو الذى يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه ، فينظر إلى غيره نظر الملك إلى العبد .. ولا يُتصور ذلك على الإطلاق والكمال إلا ((لله)) تعالى .. والتكبر والكبرياء إخبار عن استحقاقه – تعالى – لنعوت الجلال وصفات الكمال وهو القائل فى حديثه القدسىّ : (الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ) [1] .. سبحان من لا عظمة ولا كبرياء إلا له .. سبحان المتكبِّر .. هو ((الله)) ..

الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ

كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى التقدير أولاً ، ثم إلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيًا ، ثم إلى التصوير بعد الإيجاد ثالثًا .. فالله هو « الْخَالِق » من حيث التقدير .. و« الْبَارِئُ » من حيث الاختراع ، والإخراج من العدم .. و« الْمُصَوِّر » من حيث ترتيب صور المخترعات على أحسن وجه .

وهذه الصفات صفات أفعال ولا يمكن أن يتصور الإحكام ويتصور حقيقة الأفعال إلا مَنْ يرى صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل .. فإن العالم كله فى حكم جسم واحد مركب من أعضاء متعاونة .. على غرض مطلوب منه .. وأعضاؤه وأجزاؤه السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما .. وكل ذلك مرتب ترتيبًا محكمًا .. وأى خلل فى الترتيب ينهدم معه النظام كله .. وكل ذلك يحتاج إلى

(1) رواه ابن ماجه ، كتاب الزهد .

التقدير أولا .. ثم الإخراج من العدم ثانيًا .. ثم التصوير أى ترتيب الأجزاء وشكلها وترابطها بعضها ببعض ثالثًا .. وكما أن العالم بأجزائه الكبرى مفتقر إلى ذلك .. فأصغر موجود محتاج إلى ذلك : كالنملة والنحلة بل والذّرة فى إحكام الترابط بين نواتها وجُزَيْئَاتِها .. فصور الأشياء وشكلها العام وتركيب أجزائها ، وترابط هذه الأجزاء ، واحتياج الكل إلى البعض ، والبعض إلى البعض .. كل ذلك مشاهد فى الأجرام السماوية ، والمخلوقات الأرضية – من إنسان وحيوان ونبات – وأجزاء الأرض وما إلى ذلك .

وإذا تعمقنا قليلا وجدنا أن العلم عبارة عن صورة المعلوم فى الذهن ، والتعلم انتقال صورة المعلوم من ذهن الْمُعلم إلى ذهن المتعلم ، وهذا التصوير من فعل المصوِّر الذى رزق الإنسان الذاكرة والمخيّلَة ..

وهذه الأسماء التى ترجع إلى الفعل ، قال قوم فى شأنها : يُوصف ((الله)) بأنه خالق فى الأزل ، وقال آخرون : بل لا يوصف بذلك قبل الخلق .. فقد كان ولم يكن هناك مخلوق .. والرأى الأصوب – والله أعلم – هو أن الصفة قائمة بالذات العلية من الأزل وهى الصفة التى يصح بها الفعل والخلق .. فهو الخالق من الأزل قبل أن يَخلق .. لأن الصفة قائمة بذاته فلما أراد أن يخلق ، خَلَقَ بهذه الصفة ما شاء ، ويخلق أيضا ما يشاء ، فهو الخالق أزلاً وأبدًا .. وقد يسأل سائل : كيف يُسمى خالقًا ، ولم يَخلق بعد ؟!! فنقول : إن الماء قاطع للعطش وهى صفة فى الماء قبل أن تشربه فإذا شربت الماء قطع عطشك فعلا .. إذًا هو فى الإناء قاطع للعطش بالقوة – أى بالصفة الثابتة له – وعند شربك له قاطع للعطش بالفعل ، والسيف قاطع فى غمده بالقوة ، وعند الضرب به يصبح قاطعًا بالفعل ، وحبة القمح شجرة

بالقوة ، فإذا أُلقيت فى الأرض ونبتت فهى شجرة بالفعل ..

و ((الله)) تبارك وتعالى قبل الخلق هو « الْخَالِق » وبعد الخلق هو « الْخَالِق » وإلى الأبد هو « الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ » .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْغَفَّارُ

أصل « الغَفْر » هو الستر والتغطية ، و« المغفرة » ستر الذنوب والعفو عنها بفضله ورحمته وسابق توبته .. و« الْغَفَّار » هو الذى أظهر الجميل وستر القبيح فى الدنيا وتجاوز عن عقوبته فى الآخرة .. و« الْغَافِر » يغفر الذنب .. و« الغفور » من حيث التعدد فى الذنوب التى يغفرها .. و« الْغَفَّار » من حيث التكرار فى غفر الذنب الواحد المتكرر .. و« السَّتْرُ » أنواع ... منها :

أولاً : ستره على العبد أن جعل مقابح بدنه مستورة فى باطنه ، مغطاة فى جمال ظاهره .

ثانيًا : ستره لأفكاره وخواطره المذمومة فى قلبه فلا يطلع عليها أحد .

ثالثًا : ستره على العصاة ، وكان من الممكن أن تظهر آثار الذنوب على الوجه أو البدن .

رابعًا : ستره للذنوب فى الآخرة فلا يطلع عليها أحد .. وذلك بأن يُقرر العبدَ المؤمن بذنوبه فيما بينه وبينه .. ويبدل سيئات التائب حسنات ، ويمحوها من صحائفه ، وينسيها أعضاءه والكتبة من الملائكة .. سبحان « الْغَفَّار » ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْقَهَّارُ

« الْقَهَّارُ » هو الذى له الغلبة التامة على كل شىء .. فسبحانه هو القائل : (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ) [1] فما من موجود إلا وهو تحت قهره .. وهو – سبحانه وتعالى – الذى يقصم ظهور الجبابرة ويُسلط عليهم الذل .. وجميع الموجودات مسخرة تحت قهره وقدرته ، عاجزة فى قبضته وهو سبحانه الذى ينادى يوم القيامة : (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ) [2] ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْوَهَّابُ

اسم « الْوَهَّابُ » من الْهِبَةِ .. وهى العطية الخالية من العِوَض والغرض .. ومن أعطى بغير عِوض ، وبدون غرض يُسمى : « واهبًا » وكلما كثرت الهبات والعطايا وتنوعت وتعددت ، من غير مقابل ومن غير سؤال ، وبغير غرض سُمِّىَ صاحبها : « وهَّابًا » .. ولا يُتَصور الجود والعطاء والهبة وكثرة النعم ودوام العطاء ، وسد كافة الحاجات بغير عِوَض ومن دون غرض إلا لله الوهَّاب الحق القائل : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ) [3] ..

سبحانه وتعالى .. هو الوهاب المطلق .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة الأنعام آية ١٨ .

(2) سورة غافر آية ١٦ .

(3) سورة النحل آية ١٨ .

الرَّزَّاقُ

« الرَّزَّاقُ » هو خالق الأرزاق وأسبابــها ، وهو خالق المرتزقة ، وهو خــالق أسباب إيصال الرزق ووسائل التمتع به .. فهو الذى يمد الموجودات بكل ما يحفظ مادتــهم وصورتــهم .. وهو الذى يمد العقول بالعلوم ، والقلــوب بــالفهوم ، والأرواح بالتجليات ، والأجسام بالأغذية المناسبة لها : من طعام ، وشراب ، وهواء ، وكساء ، وما إلى ذلك .. وهو القائل : (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) [1] .. وهو القائل : (وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) [2] .. والقائل : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا) [3].. والقائــل : (لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ) [4] .. وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَــبِ ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا) [5] .. ويقول : (لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ : تَغْــدُو خِمَاصًــا ، وَتَرُوحُ بِطَانًا) [6] .. وقد قيل : (لَوْ فَرَّ أحدُكم من الرِّزْقِ فِرارَه مِــن الأَسَــدِ لأدركَهُ رزقُهُ حَتَّى يَدْخُلَ فى فِيهِ) ..

سبحان الرَّزَّاق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْفَتَّاحُ

« الْفَتَّاحُ » هو الذى بعنايته يفتح كل مُغلَق ، وبِهدايته ينكشف كل مُشْكِلِ ..

---

(1) سورة الذاريات آية ٥٨ . (2) سورة الذاريات آية ٢٢ . (3) سورة هود آية ٦ .
(4) سورة طه آية ١٣٢ . (5) رواه ابن ماجه كتاب التجارات . (6) رواه ابن ماجه كتاب الزهد .

ويفتح على العلماء مغالق المعانى والعلوم .. ويرزقهم دقائق الفهوم .. ويفتح الممالك لأنبيائه ، ويَرفع الحجاب عن قلوب أوليائه .. وبيده مفاتح الغيب ، ويفتح خـــزائن رحمته على مخلوقاته ، قال تعالى : (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا) [1] .. (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا) [2] .. (رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ) [3] .. سبحانه وتعالى .. سبحان الفتاح .. هو ((الله)) ..

الْعَـــلِيمُ

« الْعَلِيمُ » هو المحيط علما بكل شىء .. ظاهره وباطنه .. دقيقه وجليله .. أوله وآخره .. فاتحته وعاقبته .. ولا يمكن تصوُّر مدى هذا العلم من حيث الوضـــوح والكشف ..

والعلم صفة قديمة قائمة بالذات .. وهى من الصفات الذاتية .. وهو تعالى عالم من الأزل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته ما كان منها وما هو كائن إلى الأبد .. وعلمه يُباين علم خلقه من وجوه :

١- كثرة المعلومات .

٢- مطابقة العلم للمعلوم مطابقة كاملة تامة .

٣- علمه غير مستفاد من الأشياء بل الأشياءِ مستفادة من علمه .

٤- علمه لا يزيد بالإضافة ولا ينقص بالنسيان .

---

[1] سورة الفتح آية ١ . [2] سورة فاطر آية ٢ . [3] سورة الأعراف آية ٨٩ .

وشرف العلوم بحسب شرف المعلوم .. وأشرف المعلومات على الإطلاق هو ((الله)) تعالى .. ولذلك كانت معرفة ((الله)) – تعالى – أفضل المعارف .. والعلم به أشرف العلوم .. وهو العالم بنفسه وبذاته وصفاته من الأزل .. وعلمه – سبحانه – من الصفات الذاتية له : كصفة الإرادة التى تعلقت فى القدم بإحداث الحوادث فى أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلى ..

سبحانه وتعالى هو « الْعَلِيم » بحق .. هو ((الله)) ..

الْقَابِضُ الْبَاسِطُ

« الْقَبْضُ » قد يعنى الأخذ ، ويعنى المسك .. و« البسط » يعنى العطاء ، ويعنى الإطلاق ، ويعنى التوسعة .. من هنا قال العلماء : يقبض الأرواح عن الأجساد عند الممات .. ويبسطها فى الأجساد عند الحياة .. ويقبض الصدقات من الأغنياء ، ويبسط الرزق للضعفاء .. ويقبض القلوب تارة ويبسطها تارة بالخوف والرجاء .. ويقبض شر الظالمين عن عباده المستضعفين إن شاء .. والمعنى أشمل من ذلك كله بدليل ما جاء فى القرآن عن القبض مثل : (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ) [1] .. أى أخذت ملْء قبضة اليد .. (ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) [2] ، عن قَبْض الظل بمعنى تقليله .. (وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ) [3] كناية عن ضيق العيش وسعته .. (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) [4] كناية عن البخل .. (صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ) [5] عن الطير فى بسط أجنحتها وضمها ..

---

(1) سورة طه آية ٩٦ .
(2) سورة الفرقان آية ٤٦ .
(3) سورة البقرة آية ٢٤٥ .
(4) سورة التوبة آية ٦٧ .
(5) سورة الملك آية ١٩ .

(وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ) [1] كناية عن أنـــها فى حوزته ، وتحت سيطرته كالشيء المقبوض عليه باليد الواحدة .. (فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ) [2] أى مُسَلَّمَةٌ إلى يد الدائن .. وما جاء فى القرآن عن البسط مثل : (وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ) [3] فى النهى عن الإسراف .. (فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ) [4] أى يوزعه وينشره .. (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ) [5] كناية عن كثرة العطاء .. (إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) [6].. (لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى) [7] كناية عن إرادة الأذى .. (وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ) [8].. (وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً) [9] كناية عن التوسعة .. (جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا) [10] أى سهلة ممهَّدة ..

والمقابلة بين الاسمين : « القابض » و« الباسط » تدل على اجتماع الأضداد .. وهذا لا يمكن تصوّره إلا لله عز وجل .. إذ القابض الباسط بحق .. هو ((الله)) ..

الْخَافِضُ الرَّافِعُ

«خفض الشيء» : حطَّه ووضعه .. و« رفع الشيء » : أعلاه .. قال تعالى : (خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ) [11] تخفض الكفار وترفع المؤمنين ، وقال : (وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ) [12] كناية عن العطف والحنان ، وقال : (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ

(1) سورة الزمر آية ٦٧ . (2) سورة البقرة آية ٢٨٣ . (3) سورة الإسراء آية ٢٩ .
(4) سورة الروم آية ٤٨ . (5) سورة المائدة آية ٦٤ . (6) سورة المائدة آية ١١ .
(7) سورة المائدة آية ٢٨ . (8) سورة البقرة آية ٢٤٧ . (9) سورة الأعراف آية ٦٩ .
(10) سورة نوح آية ١٩ . (11) سورة الواقعة آية ٣ . (12) سورة الإسراء آية ٢٤ .

لِلۡمُؤۡمِنِينَ)[1] كناية عن الرحمة ولين الجانب .. وقال : (وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ)[2] .. (وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ)[3] .. (وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ)[4] .. (وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ)[5] .. (وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ)[6] .. (يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ)[7] ..

من ذلك يتضح أن الخفض ، وأن الرفع يكونان حِسيًّا ماديًّا .. ويكونان أيضًا معنويًّا : كالمكانة والشرف والسمعة والمجد .. وقد قيل فى معنى الاسمين : يخفض الكفار بالإشقاء ويرفع المؤمنين بالإسعاد ، ويرفع أولياءه بالتقريب ، ويخفض أعداءه بالإبعاد ، ويرفع من يشاء بإنعامه ، ويخفض من يشاء عن رتبته بانتقامه .. وهو الخافض لأعدائه بالذل ، والرافع لأوليائه بالنصر .. ويرفع الحق ويخفض الباطل .. والاسمان من أسمائه تعالى وهما من صفات الأفعال التى تتعلق بمشيئته وقدرته ..

والخافض على الحقيقة .. والرافع على الحقيقة .. هو ((الله)) ..

الْمُعِزُّ الْمُذِلُّ

هو الذى يُؤتى الملك من يشاء ويسلبه مِمَّنْ يشاء ، قال تعالى : (وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ)[8] ، وهو الْمُعِزُّ لمن أطاعه .. الْمُذِلُّ لمن عصاه .. وهو المانح

---

[1] سورة الحجر آية ٨٨ .
[2] سورة النساء آية ١٥٤ .
[3] سورة البقرة آية ١٢٧ .
[4] سورة الشرح آية ٤ .
[5] سورة الزخرف آية ٣٢ .
[6] سورة الطور آية ٥ .
[7] سورة المجادلة آية ١١ .
[8] سورة آل عمران آية ٢٦ .

للعزة : (وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ) [١] ومَنْ أعزه ((الله)) فهو العزيز : (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ) [٢] ..

ومادة الكلمة (عَزَّ يُعِزُّ) تفيد الغلبة والقوة والقهر والتأييد .. وقوله تعالى : (فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ) [٣] أى أيّدنا وقوّينا .. والعزة المحمودة : عزة ((الله)) .. وهناك عزة مذمومة كادِّعَاء الذليل الفاسق الذى حكى عنه القرآن فى قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِ) [٤] وهو اعتزاز بالباطل .. والأعَزُّ : اسم تفضيل ، قال تعالى : (لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ)[٥] .. (أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ)[٦] .. وهناك ذل محمود كما جاء فى قوله تعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ) [٧] وهو ذُلٌّ عن غير قهر ، بل طواعية واختيارًا تواضعًا ((لله)) عز وجل .. وهناك التذليل وهو التطويع كما جاء فى قوله تعالى : (جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولاً) [٨] .. (فَٱسۡلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً) [٩].. (وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ) [١٠].. (وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلاً) [١١].. (وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ) [١٢].. وهناك ذل مذموم وهو الهوان عن قهر وغلبة كما جاء فى القرآن حكاية عن الكفار : (مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ) [١٣] .. و« أذلَّهُ » : قهره ، وأخضعه ، وأهانه .. كما قال عز وجل عن الكفار : (أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلۡأَذَلِّينَ) [١٤] ..

---

[١] سورة المنافقون آية ٨ .
[٢] سورة الحج آية ١٨ .
[٣] سورة يس آية ١٤ .
[٤] سورة البقرة آية ٢٠٦ .
[٥] سورة المنافقون آية ٨ .
[٦] سورة هود آية ٩٢ .
[٧] سورة المائدة آية ٥٤ .
[٨] سورة الملك آية ١٥ .
[٩] سورة النحل آية ٦٩ .
[١٠] سورة يس آية ٧٢ .
[١١] سورة الإنسان آية ١٤ .
[١٢] سورة الإسراء آية ٢٤ .
[١٣] سورة طه آية ١٣٤ .
[١٤] سورة المجادلة آية ٢٠ .

وهذان الاسمان من « صفات الأفعال » ، ويُلاحَظ أن الصفات الفعلية متضادة لبيان لا نهائية القدرة ، وبيان عدم وجوب الفعل عليه ، فهو يملك الفعل وضده : فهو يحيي ويميت ، ويضر وينفع ، ويخفض ويرفع ، ويعز ويذل ، ويقبض ويبسط ، ويبدئ ويُعيد ، وله تعالى أن يفعل بعباده ما يشاء ، فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده - كما قال بعض الناس - ولا يُعقل فى حقه الوجوب لأن الفعل الواجب هو الذى فى تركه ضرر عاجل أو آجل ، وهذا محال على ((الله)) ، لأنه هو الموجب والآمر والناهى ، وله أن يكلف عباده ما يشاء ، ويحكم عليهم بما يريد ، دون جرم سابق أو ثواب لاحق .. فهو المتصرف فى ملكه دون منازع .. ومن حكم فيما ملك فما ظلم .. وكل حادث فى العالم فهو من فعله وخلقه واختراعه .. خلق الخلق وأعمالهم ، وخلق قدراتهم وحركاتهم وسكناتهم .. وكل فعل لمخلوق فهو مخلوق له ومتعلق بقدرته ، وهو القائل سبحانه : (ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ) [١] .. والقائل : (وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [٢] .. وكل حادث فى الكون من حركة وسكون ، ووجود وعدم ، بعلمه وإرادته بل من خلقه وإيجاده ، وفعله .. وجميع أفعاله تعالى لا تخلو من الحكمة وإن خفيت .. سبحانه وتعالى .. هو « المعزُّ المذلُّ » .. هو ((الله)) ..

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

صفتان من صفات الذات العلية .. وكما أن ذاته - تعالى - لا تشبه ذوات الخلق فكذلك صفاته لا تشبه صفات الخلق .. وقد تكلم بعض الناس فى الصفة

---

[١] سورة الزمر آية ٦٢ .

[٢] سورة الصافات آية ٩٦ .

والموصوف فقالوا : إن الصفة هى الموصوف ، وقال آخرون : الصفة غير الموصوف ، وقال فريق ثالث : الصفة ليست الموصوف وليست غير الموصوف .. وكل ذلـــك الكلام لا يصح ، فإنه إعمال للعقل فى ما لا يجب للعقل أن يَعمل فيه .. فإن كيفية اتصاف ((الله)) بصفاته مما هو وراء العقل ، بل كنه الصفات نفسها مما وراء العقل ، وكان السلف (رضى الله عنهم) يأخذون فى الصفات الإلهية بمعانى الألفاظ فى اللغة مع تنـــزيهه – سبحانه وتعالى – عن مشابـــهة شىء من خلقه ، فكما أن ذاتـــه ليست كغيرها من الذوات ، فكذلك صفاته وأفعاله ليست كصفات وأفعال غيره .. ولا يذهبون إلى ما وراء ذلك من لوازم ظاهر اللفظ : كالتشبيه والتحديد المأخوذ من إطلاقه فى الأصل على المخلوق .. فإن التنـــزيه يقتضى جعل المشاركة فى اللفـــظ اسمية فقط وأن نصف ((الله)) تعالى بما وصف به نفسه بلا تعطيل ولا تمثيـــل ولا تأويل مع تفويض العلم بحقيقة الأوصاف إلى ((الله)) تعالى – فنقول : إن ((الله)) – جل جلاله – عالم بعلم ، حى بحياة ، قادر بقدرة ، مريد بإرادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر .. دون إعمال العقل فى كيفيَّة ذلك ..

و« السميع » هو الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع ، وإن خفـــى .. لا يفوت سمعه شىء ، ولا يشغله نداء عن نداء ، يسمع هواجس الضمير ، وتستوى فى كمال سمعه الأصوات ، ولا تختلف عليه اللغات ، وهو منـــزّه عن أن يكون سمعه بأداة أو جارحة ، بل هو صفة يتكشف بـــها كمال صفات المسموعات .

و« البصير » هو الذى يشاهد ويرى ، ولا يخفى عليه ما تحت الثرى .. يرى خفايا الوهم والتفكير .. ولا تحجب رؤيته الظلمات والأستار .. ورؤيته — سبحانه وتعالى — منـــزَّهة عن أن تكون بجارحة كجوارح المخلوقات .. بل يرى بصفة

يتكشف بـــها كمال التفريق بين المبْصَرات .. لا تفوته فلتة خاطر ، ولا لفتة ناظر ، ولا يغيب عن رؤيته موجود ظاهرًا كان أو باطنًا ، خفيًّا كان أو جليًّا ..

سبحانه وتعالى .. يقول لموسى : (إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ)(١) .. ويقول سبحانه : (قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا) (٢).. ويقول : (لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ) (٣) .. ويقول : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) (٤).. ويقـــول : (قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ)(٥) .. ويقول : (إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ)(٦) .. سبحانه .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْحكَمُ

« الْحَكَمُ » هو من يفصل بين المتنازعين ، كما جاء فى قوله تعالى : (فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ)(٧) .. وقوله : (أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا)(٨) .. و« حَكَمَ » بمعنى : قَضَى وفَصَل فى الأمر ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ) (٩) .. وفى شأنه وعن نفسه – تعالى – يقول : (إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) (١٠).. أى ينفذ حكمه وفق إرادته ، ويقول تعالى : (وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ

(١) سورة طه آية ٤٦ .
(٢) سورة المجادلة آية ١ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٨١ .
(٤) سورة الزخرف آية ٨٠ .
(٥) سورة الشعراء آية ١٥ .
(٦) سورة الحج آية ٧٥ .
(٧) سورة النساء آية ٣٥ .
(٨) سورة الأنعام آية ١١٤ .
(٩) سورة النساء آية ٥٨ .
(١٠) سورة المائدة آية ١ .

تَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ)[1] .. ويقول تعالى : (وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ)[2] ..

و« أحكم الأمر » : أتقنه ، قال تعالى : (ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ) [3] .. وقال عن القرآن : (مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ) [4] ..

والحَكَمُ هو الحاكم ، من : « تحاكم المتخاصمان » أى رفعا أمرهما إلى الحاكم .. كما فى قوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ) [5] ..

والْحُكْمُ أيضًا الحكمة والرشاد ، والعلم والسلطان ، والمُلْك والقضاء ، والفصل بين الناس ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا)[6] .. (وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ)[7] ..

والحاكم الذى لا راد لقضائه ، ولا معقِّب لحكمه ، هو ((الله)) القائل : (إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ) [8].. وهو الحكم بين عباده ، الفاصل بين الحق والباطل ، المنصف للمظلوم من الظالم ، المميز بين البر والفاجر ، المجازى كل نفس بما عملت .. لا يقع فى وعده ريب ، ولا فى فعله عيب .. حكم على القلوب بالرضا والقناعة ، وعلى النفوس بالانقياد والطاعة ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

[1] سورة يونس آية ١٠٩ .
[2] سورة هود آية ٤٥ .
[3] سورة الحج آية ٥٢ .
[4] سورة آل عمران آية ٧ .
[5] سورة النساء آية ٦٠ .
[6] سورة الأنبياء آية ٧٩ .
[7] سورة الأنبياء آية ٧٨ .
[8] سورة الأنعام آية ٥٧ .

الْعَدْلُ

« الْعَدْلُ » هو العادل المنـــزَّه عن الظلم والجور فى أفعاله وأحكامه ، الذى يعطى كل ذى حق حقه ، ويضع كل شىء فى موضعه ، ولا يصدر منه إلا العدل ، ومن أحكامه فى حق العباد قوله سبحانه : (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾) [1] .. وكذلك قوله تعالى : (إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾) [2] .. و« الْعَدْلُ » أيضا هو الذى رتب الأسباب ووجهها إلى المسببات ، ولا يُعرف عدل ((الله)) ما لم يُعرف فعله .. وفعله فى ملكه وملكوته – من حيث الظاهر – يرى المتأمِّلُ فيه أن كل شىء وُضع فى موضعه ، وأن المسبَّبات رُتِّبت على الأسباب أحسن ترتيب ، وأن ما خَفِى من أحكام العدل – سبحانه – أكثر بكثير مما يظهر ، والعبد فى هذه الدنيا يتقلب بين العدل والفضل .. فإن أصابته ضراء فبعدل الله ، قال عز وجل : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) [3] .. (وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ) [4] .. وإن أصابته سراء فبفضل ((الله)) ، قال تعالى : (مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ)[5] ، وقال : (وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ) [6] ، (وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) [7] .. وهو سبحانه الذى حبَّب الإيمان إلى المؤمنين وزيَّنه فى قلوبـــهم فقد قال : (وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ

---

(١) سورة النجم الآيتان ٣٩ ، ٤٠ . (٢) سورة الانفطار الآيتان ١٣ ، ١٤ . (٣) سورة فصلت آية ٤٦ .

(٤) سورة غافر آية ٣١ . (٥) سورة النساء آية ٧٩ . (٦) سورة البقرة آية ١٠٥ .

(٧) سورة النساء آية ١١٣ .

ٱلۡإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةً ۚ) [1] ..

وهو سبحانه الذى امتنَّ عليهم بقولــه : (لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ) [2]، وقال سبحانه فى شـــأن الكفـــار : (وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [3] ..

وقد كان الله والكون عدم .. ومَنْ حكم فى ملكه فما ظلم .. والعدل المطلـــق .. هو ((الله)) ..

اللَّطِيفُ

« اللَّطِيفُ » هو العالم بخفيّات الأمور وحقائقها ، والخبير ببواطن الأشـــياء .. والذى امتنع إدراكه بالأبصار ، وتنـــزَّه عن المكان فلا يتحيَّز فى الجهات والأقطار ، وتعالى عن الحد ، فلا تصل إلى كُنه ذاته العقول والأفكار .. ومع ذلك هو أقرب إلى الأشياء من ذواتـــها ، وهو الذى يُسرع بكشف الغُمّة عند نزول النقمة .. وهـــو مصور الأشياء فى قوالب أضدادها .. الذى يعلم دقائق المصالح وغوامضها ، وما دق منها وما لطف .. ثم يسلك فى إيصالها إلى المستحق سبيل الرفق دون العنف .. وإذا اجتمع الرفق فى الفعل ، واللطف فى العلم ، تم معنى « اللطف » .. ودقائق لطفـــه بخلقه لا يحصيها العدُّ .. يقول تعالى : (ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ) [4] .. (إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ

---

[1] سورة الحجرات الآيتان ٧ ، ٨ . [2] سورة آل عمران آية ١٦٤ . [3] سورة النحل آية ٣٣ .
[4] سورة الشورى آية ١٩ .

لِّمَا يَشَآءُ) [1] .. وانظر إلى تغذية الجنين فى بطن أمه ، ثم إلهامه التقام الثدى بمجرد الولادة ، وتأخير بروز الأسنان إلى ما بعد سن الرضاع ، وتقسيم الأسنان إلى قواطع وأنياب وضروس ، وانظر كيف يُستخدم اللسان كالمجرفة ، وفى الوقت نفسه يستخدم للنطق ، ومن لطفه بعباده أنه كلفهم دون الطاقة ، وأعطاهم فوق الكفاية ، وأخرج الدرَّ من الصدف ، والعسل من النحل ، والحرير من الدود ، والإنسان من النطفة .. وكيف أوصل الرزق للإنسان دون مشقة ، وهيأ له سبل الاستفادة بموادّه النافعة ، والتخلص من مواده الضارة دون تدخل من الإنسان .. ولطفُه سبحانه بخلقه يفوق الحصر .. سبحانه وتعالى .. هو « اللَّطِيفُ » .. هو ((الله)) ..

الْخَبِيرُ

« الْخَبِيرُ » هو الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ولا تعزب عنه حركة .. ويعلم بواطن الأشياء كما يعلم ظواهرها سواء بسواء .. والعلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سُمى خبرة وسُمى صاحبها « خبيرًا » .. يقول الله تعالى : (وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ) [2] .. ويقول : (فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا) [3] .. (سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) [4] ..

و« الخبر » : النبأ الذى يفيد به المتكلم واقعة معينة ثابتة : (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا)[5]، وقال تعالى : (قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ)[6].. وقال تعالى :

[1] سورة يوسف آية ١٠٠ .
[2] سورة الأنعام آية ١٨ .
[3] سورة الفرقان آية ٥٩ .
[4] سورة النمل آية ٧ .
[5] سورة الكهف آية ٦٨ .
[6] سورة التوبة آية ٩٤ .

(أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ) [1] ..

سبحانه .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْحَلِيمُ

« الْحِلْمُ » : الأناة ، وضبط النفس ، من « حَلُمَ يَحْلُمُ حِلْمًا فهو حليمٌ » ، و« الحليم » : هو الذى لا يسارع بالمؤاخذة ولا يُعجِّل بالعقوبة ، يتجاوز عن الزلاَّت ، ويعفو عن السيئات ، يمهل العاصى حتى يتوب .. لا يستخفه عصيان عاص ، ولا يستفزه طغيان طاغ .. يسامح الجانى مع استحقاقه العقوبة والمؤاخذة بالذنب .. يشاهد معصية العاصى .. ويرى مخالفة أمره ، ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ، ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام – مع غاية الاقتدار – عجلةٌ وطيشٌ ..

قال تعالى : (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ) [2] ، وهو القائل سبحانه وتعالى : (وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٍ) [3] ..

سبحان من حَلُمَ وستر وغفر .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْعَظِيمُ

لفظ « الْعَظِيم » : فى الأصل يطلق على الأجسام ذات العظام ، وهو مشتق من العَظْمِ ، وما كبر عَظْمُه عن عَظْمِ غيره فهو أعظم ، فالناقة مثلاً أعظم من الشاة .. ثم

(1) سورة الملك آية ١٤ . (2) سورة البقرة آية ٢٣٥ . (3) سورة فاطر آية ٤٥ .

أُطْلِق اللفظ على كل جسم كالجبل والبحر مما يحيط به البصر ولو لم يكن له عظم .. فإذا كان الشيء كبيرًا بحيث لا يحيط به البصر ، فهو أعظم من الشيء الذى يحيط به البصر .. فالسماء أعظم من الأرض ، والأرض أعظم من الجبل .. والسماء لا يحيط بـــها البصر ولكن قد يدرك العقل لها أبعادًا .. أما ما كان أكبر من كل شيء ، ولا يحيط به البصر ، ولا يدرك العقل كنهه فهو الأعظم .. و ((الله)) تبارك وتعالى لا يحيط به البصر ولا يتصوره عقل .. فهو العظيم حقًّا الذى قصرت العقول والفهوم عن إدراك حقيقته .. بل جاوز حدود العقل فهو البالغ أقصى مراتب العظمة .. ذو العلو والمجد .. المستغنى عن الأعوان .. المتقدس عن الزمان والمكان .. الذى لـــيس لعظمته بداية ولا لِكُنْهِ جلاله نـــهاية ..

سبحان ((الله)) العظيم .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْغَفُورُ

« الْغَفْرُ » : الستر كما جاء فى شرح الاسم « الغفار » .. « وغَفَر الذنب » أى ستره وعفا عنه و لم يعاقب عليه .. و« الغافر » اسم فاعل .. و« غفور » و« غفار » صيغتان للمبالغة ، وكلها من الأسماء الحسنى .. قال تعالى : (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ)[1] وقال : (وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [2] وقال : (هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّـٰرُ) [3] .. و« الغفار » مبالغة فى المغفرة بالإضافة إلى مغفرة متكررة المرة بعد المرة أى باعتبار الكم ، أما « الغفور » : فصيغة تدل على الكمال والشمول والتمام ، أى باعتبار الكيف ، لذا قال سبحانه :

(1) سورة غافر آية ٣ . (2) سورة يونس آية ١٠٧ . (3) سورة الزمر آية ٥ .

(نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [1] صدق الله العظيم ..

هو الغفور .. هو ((الله)) ..

الشَّكُورُ

« الشَّكُورُ » هو الذى يُعطى الجزيل على العمل القليل ، ويجازى على يسير الطاعات كثير الدرجات ، ويعطى بالعمل المحدود نعيمًا غير محدود ، وهو الذى يوفق عباده لأداء شكر نعمته .. و« الشَّكُورُ » كذلك من الشُّكْر الذى هو الثناء على المحسن .. وربنا – تبارك وتعالى – قد أثنى على عباده فى محكم كتابه فى مواضع كثيرة مثل قوله تعالى : (نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)[2] .. (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ)[3] .. (إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ...) [4] .. (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) [5] .. فالشكر يكون بالثناء ، والشكر يكون بالمجازاة .. فإذا كان الثناء من شخص له مكانته كان للثناءِ قيمته .. وكلما كانت المجازاة كبيرة كان المجازى كبيرًا .. فإذا كان ((الله)) – تبارك وتعالى – قد أثنى على أعمال عباده ، فقد أثنى على فعل نفسه لأن أفعالهم من خلقه ، وإذا كان هو المجازى على الأفعال الحسنة بأحسن منها ، فلا تُتصور مجازاة أكبر من ذلك ، وإذا كان الشكر بمعنى الثناء وبمعنى المجازاة ، فالشكور الحق .. والشكور المطلق .. هو ((الله)) ..

---

[1] سورة الحجر آية ٤٩ . [2] سورة ص آية ٣٠ . [3] سورة هود آية ٧٥ .

[4] سورة الأحزاب آية ٣٥ . [5] سورة الأنفال آية ٤ .

الْعَلِىُّ

« الْعَلِىُّ » هو البالغ فى علو الرتبة ما لا نــهاية له .. فما من شىء إلا وهــو منحط عنه .. المتعالى عن الأنداد والأضداد ، الرفيع المنــزلة ، المستعلى فوق خلقه بقدرته وجبروته ، وهو الذى علا فلا تُدرك ذاته ولا تُتصور صفاته .. والاسم مشتق من العلو المقابل للسُّفْل ، وذلك يكون فى الدرجات المحسوسة ، والأجسام الموضوعة بعضها فوق بعض ، ويكون فى الرتب المعقولة كذلك .. وكل ما لــه الفوقيــة فى المكان ، فله العلو المكانى ، وكل ما له الفوقية فى الرتبة والدرجات العقلية ، فله العلو فى المنــزلة والمكانة .. وهذا العلو يكون بالمقارنة فيقال : هذا أعلى من هذا سواء فى المكان أو فى المكانة .. وعلو الرتبة أنواع : فالإنسان أعلى رتبة من الحيوان ، والحى أعلى رتبة من الميت ، والأولياء أعلى رتبة من العوام ، والملائكة أعلى رتبة من الناس ، والصانع أعلى رتبة من المصنوع .. فإذا نظرت إلى صــفات ((الله)) – ســبحانه وتعالى – حيث هو الخالق الأزلى بلا بداية ، والأبدى بلا نــهاية ، والذى كان و لم يكن شىء غيره ، علمت أنه العلى المطلق ..

سبحانه وتعالى علوا كبيرا .. هو ((الله)) ..

الْكَبِيرُ

« الْكَبِيرُ » هو الكبير فى كل شىء ، لأنه أزلى وغنى على الإطلاق ، وهو الكــبير عن مشاهدة الحواس وإدراك العقول .. و« الْكَبِير » هو ذو الكبرياء ، والكبرياء كمال الذات ، وكمال الذات يعنى كمال الوجود ، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين :

أولهما : دوامه أزلاً وأبدًا .. حيث أن كل وجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص ليس بكامل ، وقد تعارف الناس على إطلاق كلمة « كبير » على الإنسان الذى طالت مدة بقائه فى الدنيا .. فإذا كان من طالت مدة وجوده فى الدنيا يقال له كبير – مع كونه محدودًا ببداية ونـــهاية – فالموجود الأزلى الأبدى أَوْلى بأن يكون كبيرًا .

ثانيهما : وجوده هو الوجود الذى يصدر عنه وجود كل موجود .. والــذى حصل منه كل وجود هو الموجد الأزلى .. الكبير المطلق .. هو ((الله)) ..

الْحَفِيظُ

« الْحَفِيظُ » هو العالم بجميع المعلومات علمًا لا تغيير له ولا زوال ، المحيط بمـا فى السموات والأرض ، يحفظ وجودهما ، ولا يئوده حفظهما ، وهو الذى يحفظ جميـع خلقه ويحفظ العناصر المتكون منها الخلق ، ومنها ما هو متنافر متضاد .. والحفظ يكون :

أولاً : بإدامة وجود الموجودات وإبقائـها ، وعدم فنائـــها أو إعـدامها .. و((الله)) هو الحافظ للموجودات التى يطول أمد وجودها كالسماء والأرض وكذلك التى لا يطول أمد وجودها كالإنسان والحيوان ..

ثانيًا : صيانة الموجودات عن التنافر والتعادى والإبقاء على التعادل بينها ..

فالتعادل ظاهر بين الحرارة والبرودة ، وبين الرطوبة واليبوسة فى الأجسام المركبة من هذه الأصول المتنافرة سواء فى الإنسان أو الحيوان أو النبات .. فمـثلاً لابـد للإنسان من حرارة غريزية .. لو بطلت ، بطلت معها الحياة .. ولابد له من رطوبة

تكون غذاءً لبدنه كالدم وما يجرى مجراه .. ولابد له من يبوسة تتماسك بها أعضاؤه كالعظام والمفاصل .. ولابد له من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتدل .. وقد جَمَعَ ((الله)) بين هذه المتضادات المتنازعات فى جسم الإنسان والحيوان .. ولولا حفظه إياها لتنافرت وتباعدت وقضى بعضها على بعض .. فَتُبخِّر الحرارة مثلاً الرطوبة ، وتَقْضى البرودة على الحرارة .. والحفظ يجعل المتضادات فى قوة واحدة فتتقاوم ، ويحدث التعادل ، ويبقى قوام الإنسان بتعادلها .. أو يكون الحفظ بإمداد المغلوب منها ، فيشعر الإنسان بالعطش ، والحاجة إلى الماء البارد مثلاً أو يشعر بالبرد والحاجة إلى الدفء فيستدفىء بالنار أو بالثياب الثقيلة .. وهكذا خلق ((الله)) تبارك وتعالى الأطعمة والأشربة على اختلاف أنواعها ، والأدوية وسائر الأشياء المتضادة حتى إذا غلب شىء تَمَّت مقاومته بغيره ، فيعتدل المزاج .. وهذا التعبير حقيقى لأن الإنسان مزاج وخليط من المتنافرات .. والحفظ أيضا يكون بتعليم الإنسان وسائل استخدام هذه الإمدادات التى خلقها تبارك وتعالى للحفظ والصيانة ..

وقد يكون الهلاك آتيًا من أسباب خارجة كالأعداء ، فما من مخلوق إلا وله عدو .. فأعطى ((الله)) – تبارك وتعالى – كل مخلوق أسباب حفظه من الهلاك الخارجى بالحواس أو الجوارح أو الأسلحة أو أسباب التخفى أو حتى بوسائل الهرب .. وما ينطبق على الإنسان والحيوان ينطبق على النبات والجماد ، حتى الذرات كذلك .. ووسائل حفظ الحفيظ لا يحصيها إلا الحفيظ .. القائل جل وعلا : (إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ) [1] سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

[1] سورة هود آية ٥٧ .

الْمُقِيتُ

« الْمُقِيتُ » هو خالق الأقوات : بدنية وروحانية ، وموصلها إلى الأبدان والقلوب ، وهى الأطعمة والأشربة والمعارف والعلوم .. والقوت ما يُكتفى به فى قوام البدن .. و« الْمُقِيتُ » يكون أيضًا بمعنى المستولى على الشىء القادر عليه المسئول عنه بالقدرة والعلم من قوله سبحانه : (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا)[1] أى قادرًا مُطّلِعًا .. فيكون الاسم من حيث الرزق أخص من الرّزّاق ، لأن « الرّزّاق » يرزق القوت وغيره .. وأما من حيث القدرة والعلم فهو أعم من القادر والعالم ، لأنه يشمل القدرة مع العلم .. وكلمة « أقات الشىء » أى أمده بقُوته الذى يحفظ عليه حياته ، ومن يفعل ذلك يكن مقتدرًا على الشىء لأنه يملك حياته .. ومنه « أقات عليه » أى قَدَرَ عليه وسيطر عليه وحَفِظَه وحفظ عليه حياته ..

والفاعل لكل ذلك مع كل موجود هو ((الله)) .. « الْمُقِيتُ » المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْحَسِيبُ

« حَسَبَ الشىء حِسابًا وحُسبانًا » : عدَّه وأحصاه ، كقوله تعالى : (ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) [2] أى بحساب .. « حاسبه حسابًا » : أحصى عليه أعماله ليجزيه بقدرها كقوله تعالى : (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) [3] وقوله : (وَهُوَ أَسْرَعُ

---

[1] سورة النساء آية ٨٥ . [2] سورة الرحمن آية ٥ . [3] سورة الانشقاق آية ٨ .

ٱلْحَـٰسِبِينَ) [١] لأن الخلق كلهم يحاسبون فى وقت واحد ، ولا يقدر على ذلك إلا ((الله)) ، الذى لا يشغله شأن عن شأن ..

و« الحسبان » : العذاب المحسوب المقَدَّر ، كقولــه تعــالى : (وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ)[٢] .. و« احتسب الأمر » : ظَنَّه وقــدَّره ، كقولــه تعــالى : (وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ) [٣] .. و« حَسۡبُه الله » أى هو وحده كافيه ومغنيه عن سواه ، وهو وحده كفيل به ، كقوله تعــالى : (فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ) [٤] .. و« الحسيب » : المحاسب والكافى والكفيل ، كقوله تعــالى : (وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا) [٥] وقوله : (كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا)[٦] .. والحسيب أيضا من « الْحَسَب » وهو السؤدد والشرف الكامل .. والْحَسْب هو الاكتفاء .. و« الْحَسيب » هو المعطى لعباده كفايتهم .. وهذا وصف لا تُتَصور حقيقته لغير ((الله)) ، فما من موجــود إلا ويحتاج إلى الكفاية لوجوده ، ولدوام هذا الوجود ، ولبقائــه ولكمــال وجــوده .. و((الله)) وحده هو الكافى لكل شىء ، فبه وحده يتحصل وجود الأشياء وبقاؤهــا وكمالها .. وإذا كانت الأسباب كافية كلبن الأم للرضيع ، والطعام للبــالغ ، والهــواء للمتنفس ، والمال للغنى ، وما إلى ذلك ، فالخالق لكل ذلك هو ((الله)) ..

وهو وحده « الْحَسْبُ » لكل شىء ، فالأشياء يتعلق بعضها ببعض ، وكلها تتعلق بقدرة ((الله)) وإيجاده وتدبيره ، فهو « الْحَسِيب » المطلق ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

[١] سورة الأنعام آية ٦٢ .
[٢] سورة الكهف آية ٤٠ .
[٣] سورة الطلاق آية ٣ .
[٤] سورة التوبة آية ١٢٩ .
[٥] سورة النساء آية ٦ .
[٦] سورة الإسراء آية ١٤ .

الْجَلِيلُ

« الْجَلِيلُ » : الكامل فى الصفات ، و« الكبير » : الكامل فى الذات ، و« العظيم » : الكامل فيهما .. و« الْجَلِيلُ » هو الذى عظم شأنه ، وظهر أمره ، فلا يوازيه غيره ، ولا يدانيه أحد : فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال .. وهو الموصوف بصفات الجلال كالقدرة والعلم والتقديس وما إلى ذلك ..

والجامع لكل ذلك هو « الْجَلِيل » المطلق .. لأن كل ما فى الوجود من جمال وكمال وبهاء وحُسْن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته .. فكيف يكون خالق كل ذلك ؟!!

من هنا كان النظر إلى وجهه تعالى يوم القيامة أكبر وأعظم من نعيم الجنة وما فيها .. و« الجلال » مصدر فعل « جَلَّ يَجلُّ جلالاً وجلالة » ، كما فى قوله تعالى : (تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) [1] .. فصاحب العظمة الكاملة .. والجلال المطلق .. هو الجليل سبحانه .. هو ((الله)) ..

الْكَرِيمُ

« الْكَرِيمُ » هو الذى إذا قدر عفا .. وإذا وعد وفَى ، وإذا سُئل أَعطى وكفى .. لا يُضيِّعُ من أقبل عليه .. ولا يترك من التجأ إليه ، ولا تتخطاه الآمال .. وهو المعطى بغير سؤال .. لا يبالى كم أعطى ، ولا لمن أعطى .. وإن سُئل غيره لا

[1] سورة الرحمن آية ٧٨ .

يرضى .. و« الأكرم » اسم تفضيل ، قال تعالى : (ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ) [1] .. وهو صاحب الإنعام والجود والإحسان ، الذى يُكرم خلقه بفيض نعمه ، ويكرم أولياءه بفيض فضله ، كقوله عن أحد عبـــاده : (يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ) [2] .. ومَنْ حُرِم من كرم الله فلا مُكرم له على الإطلاق ، قال تعالى : (وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ) [3] .. والله تعالى هو الكريم أزلاً وأبدًا ، قال تعالى : (كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾) [4] .. و« الْكَرِيمُ » المطلق هو ((الله)) ..

الرَّقِيبُ

« رقَبَه يرقُبه » : حفظه ورعاه .. و« رقبه » : انتظره فهو رقيب .. كمـــا قال تعالى : (وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ) [5] .. و« الرقيب » : الذى يراقـــب الأشياء ويلاحظها .. فلا تفوته لفتة ناظر ، ولا فلتة خاطر .. ولا يغيب عنه مثقال ذرة ، فى صخرة كانت ، أو فى السموات أو فى الأرض .. وهو فى هذه المراقبة لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم ، ولا غفلة ، بل الملاحظة لازمة دائمة .. ولا يتأتى هـــذا إلا للرقيب المطلق ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة العلق آية ٣ . (2) سورة يس الآيتان ٢٦ ، ٢٧ . (3) سورة الحج آية ١٨ .

(4) سورة الرحمن الآيتان ٢٦ ، ٢٧ . (5) سورة هود آية ٩٣ .

الْمُجِيبُ

« الْمُجِيبُ » هو الذى يجيب الداعى إذا دعاه .. وهـــو ســبحانه القائـــل : (ٱدۡعُونِىٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ) [1] .. فيسعف السائل بمقتضى فضله .. فيعطيه مراده أو ما هو أفضل وأصلح له حالا أو مآلا .. أو يصرف عنه من الشر ما يوازيه .. وهو الذى يجيب المضطرين ، ويغيث المستغيثين ، ويُصرخ المستصرخين .. وهو القائل سبحانه : (أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ)[2] .. وهو وحده – تعالى – يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم ، وقد علمها من الأزل ، فدبر أسبابـــها وقدر كيفيـــة وصولها .. وهو المنعم قبل النداء ، والمتفضل قبل الدعاء ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْوَاسِعُ

« الْوَاسِعُ » هو المحيط بكل شىء علما .. و« الْوَاسِعُ » : الذى وسعت رحمته كل شىء .. وعمت رحمته كل مؤمن وكافر .. و« الواسع الكامل » الذى لا نـــهاية لغناه ، ولا تنضب خزائنه .. وهو ما لا نـــهاية لبرهانه ، ولا حدود لسلطانه .. ولا يُحاط بذاته ، ولا أسمائه ولا صفاته .. و« الْوَاسِعُ » مشتق من السعة ، والسعة تضاف إلى العلم وتضاف إلى الإحسان ، فيقال : واسع العلم ، وواسع الإحسان والعطاء .. والواسع المطلق هو ((الله)) لأنه إذا نظرت إلى علمه

---

[1] سورة غافر آية ٦٠ .

[2] سورة النمل آية ٦٢ .

فلا ساحل لبحر معلوماته ، قال تعالى : (قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا)[1] .. وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ) [2] .. وإن نظرت إلى إحسانه وإنعامه فلا نهاية لعطائه ..

وكل سعة وإن عظمت .. لابد أن تنتهى إلى طرف ، والذى لا يتناهى إلى طرف هو « الْوَاسِع » المطلق هو ((الله)) .. قال تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ) [3] .. وقال تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ) [4] .. وقال تعالى : (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ) [5] .. وقال تعالى : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) [6] .. لا نهاية لسلطانه .. ولا حد لإحسانه .. وسع بعلمه جميع المعلومات .. وبقدرته جميع المقدورات .. فهو واسع الرحمة والغنى والسلطان والعلم والقدرة والإحسان .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْحَكِيمُ

« الْحَكِيمُ » هو ذو الْحِكْمَةِ .. والحكمة : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم .. والحكمة حسن التدبير ، وإتقان العمل ، ووضع كل شىء فى موضعه .. و((الله)) – تبارك وتعالى – يعلم أجلَّ الأشياء بأجلِّ العلوم ، فعلمه أزلى دائم .. لا يُتصوَّر زوالهُ .. ولا يَتطرق إليه خفاء ولا شبهة .. وهو عالم بذاته وأسمائه وصفاته ..

[1] سورة الكهف آية ١٠٩ .
[2] سورة لقمان آية ٢٧ .
[3] سورة البقرة آية ١١٥ .
[4] سورة النجم آية ٣٢ .
[5] سورة الأعراف آية ١٥٦ .
[6] سورة البقرة آية ٢٥٥ .

يعلم أجلَّ الأشياء بأجلِّ العلوم ، فهو « الْحَكِيم » المطلق .. وأما حُسْنُ التدبير ، وإتقان العمل ، ووضع الشىء موضعه – على وجه الكمال والتمام – فلا يمكن أن يكون ذلك إلا ((لله)) القائل عن نفسه : (ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ) [1] .. والقائل : (صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَىۡءٍ ۚ) [2] .. والقائل : (فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَـٰلِقِينَ) [3] .. والقائل : (ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) [4] .. سبحانه وتعالى .. الحكيم المطلق .. هو ((الله)) ..

الْوَدُودُ

« الْوَدُودُ » : كثير الود ، صيغة مبالغة من : « ودَّه يَوَدُّه وُدًّا » أى أحبه .. و« وادَّه موادّة ووِدادًا » : أحبه وقبل منه محبته ، أى بادله الحب والود .. قال تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ وُدًّا)[5] .. أى محبة منه تعالى ومحبة فى قلوب خلقه .. وقال تعالى : (لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ ۚ) [6] .. وقال تعالى : (وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ) [7] أى كثير الود لعباده ، المتحبب إلى الطائعين بمعرفته ، وإلى المذنبين بمغفرته ، وإلى الخلق برزقه وكفايته .. المحب للمؤمنين والمحبوب لهم .. الراضى عن أهل طاعته ، والمادح لهم بأعمالهم ..

(1) سورة السجدة آية ٧ .
(2) سورة النمل آية ٨٨ .
(3) سورة المؤمنون آية ١٤ .
(4) سورة طه آية ٥٠ .
(5) سورة مريم آية ٩٦ .
(6) سورة المجادلة آية ٢٢ .
(7) سورة البروج آية ١٤ .

الموِدِّدهم إلى خلقه ..

و« الْوَدُودُ » : قريب من معنى الرحمة ، ولكن الرحمة إضافة الخير إلى المرحوم .. وأفعال « الرحيم » تستدعى مرحومًا ضعيفًا محتاجًا .. وأفعال الودود لا تستدعى ذلك ، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود ، قال تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ) [1] فهو – سبحانه – يحبهم أولا ثم يرزقهم محبته .. وإذا أحبَّ ((الله)) عبدًا دَعَا « جبْرِيلَ » فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ [2] .. قال تعالى : (إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ) [3] ..

سبحان الودود .. عظيم الجود .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْمَجِيدُ

« الْمَجِيدُ » هو الذى انفرد بالشرف الكامل ، والملك الواسع من الأزل إلى الأبد .. البالغ الكمال فى المجد والشرف .. عظيم القدر .. الشريف ذاته ، الجميل فعاله ، الجزيل عطاؤه ونواله .. وشرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمى : مجدًا ، والمجد لله من الأزل إلى الأبد ، وهو المجيد المطلق ، قال تعالى : (إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ) [4] .. وقال : (ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ) [5] .. ووصف كلامه فقال : (قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ) [6] لأنه

---

[1] سورة المائدة آية ٥٤ .
[2] رواه مسلم كتاب البر والصلة .
[3] سورة هود آية ٩٠ .
[4] سورة هود آية ٧٣ .
[5] سورة البروج آية ١٥ .
[6] سورة ق آية ١ .

عظيم النفع والخير ، ولأنه كما قال عنه : (فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ)[1] .. تبارك « الْمَجِيدُ » المطلق .. هو ((الله)) ..

الْبَاعِثُ

يُقال بعثه : أى أرسله ، كقوله تعالى : (فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ)[2] .. وقوله : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ)[3] .. فهو سبحانه يبعث الرسل بالأحكام كقوله تعالى : (فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)[4] ..

وتأتى « بعث » بمعنى أيقظ من النوم .. كقوله عز من قائل : (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى)[5] أى يبعث النيام فيوقظهم .. وقال سبحانه فى أهل الكهف : (ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا)[6] ..

ويبعث الله الموتى أى يخرجهم من قبورهم .. قال تعالى : (وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[7] أى يحييهم يوم القيامة .. وقال : (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ)[8] .. وقال : (ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم

(1) سورة عبس الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(2) سورة الكهف آية ١٩ .
(3) سورة يونس آية ٧٤ .
(4) سورة البقرة آية ٢١٣ .
(5) سورة الأنعام آية ٦٠ .
(6) سورة الكهف آية ١٢ .
(7) سورة الأنعام آية ٣٦ .
(8) سورة المجادلة آية ١٨ .

مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ)[1] .. وقال الموتى بعد البعث كما حكى عنهم القرآن : (مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا)[2] .. وهو الذى يحيى الخلق يوم النشور .. ويحصِّل ما فى الصدور .. ويبعث من فى القبور ..

وهو الذى يبعث الهمم للترقى فى ساحات التوحيد .. وهو الذى بعث الموجودات من ظلمة العدم إلى نور الوجود ..

والبعث هو « النشأة الآخرة » أما الخلق فهو « النشأة الأولى » .. لأنه سبحانه يقول : (وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ)[3] .. (وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ)[4] ..

ولا يمكن إدراك معنى الباعث إلا إذا علمنا « النشأة الآخرة » ، وهذا محال قبل حصوله .. وعلى ذلك فلا يعلم حقيقة « الباعث » إلا « الباعث » .. ودرك العجز عن الإدراك إدراك .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الشَّهِيدُ

« شَهِدَه يشهده شهودًا وشهادة » : حضره وعلم به .. قال تعالى : (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ)[5] .. و« شَهِدَ » أى دل بقول أو فعل ، كقوله تعالى : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۡ أَهۡلِهَآ)[6] .. و« شَهِدَ بالله » أى أقسم به ، يقول تعالى :

---

(1) سورة البقرة آية ٥٦ . (2) سورة يس آية ٥٢ . (3) سورة الواقعة آية ٦١ .
(4) سورة الواقعة آية ٦٢ . (5) سورة البقرة آية ١٨٥ . (6) سورة يوسف آية ٢٦ .

(فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَـٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ)[1] .. و« الشهادة » : خبر قاطع ، كقوله تعالى : (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ) [2] ، وكقوله : (وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٌ) [3] ، وكقوله : (وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ) [4] ، وكقوله : (وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ) [5] .. و« أشهاد » : جمع شهيد .. و« شهود » : جمع شاهد .. و« الشهيد » أيضا مَنْ قُتِل فى سبيل ((الله)) وشَهِدَتْهُ الملائكة أو شَهِدَتْ له .. و« الشهيد » صيغة مبالغة من الشاهد ، كقوله تعالى : (وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) [6] ، وكقوله : (فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ) [7] أى مع المقرِّين بوحدانية ((الله)) تبارك وتعالى .. و« أشهده » على الأمر ، كما فى قوله سبحانه : (وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۛ شَهِدۡنَآ ۛ) [8] ، وقولـــه : (وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡ ۚ) [9] .. و« أشهده » : جعله يحضر ويشاهد ، يقول تعالى : (مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ) [10] .. و« مشهود » : اسم مفعول كقوله : (وَذَٰلِكَ يَوۡمٌ مَّشۡهُودٌ) [11] أى حضره الخلق وشاهدوا أهواله وحضرته الملائكة ، وكقوله : (وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ ۖ إِنَّ

---

(1) سورة النور آية ٦ .
(2) سورة الأحقاف آية ١٠ .
(3) سورة البروج آية ٧ .
(4) سورة يونس آية ٦١ .
(5) سورة هود آية ١٨ .
(6) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(7) سورة آل عمران آية ٥٣ .
(8) سورة الأعراف آية ١٧٢ .
(9) سورة البقرة آية ٢٨٢ .
(10) سورة الكهف آية ٥١ .
(11) سورة هود آية ١٠٣ .

قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)[1] أى تشهده الملائكة وتسجل ثوابه .. و« مشهد » : اسم مكان واسم زمان ومصدر ميمى ، كقوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [2] .. و« استشهده » : طلب شهادته ، كقوله تعالى : (وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ) [3] .. و« الشهيد » : من الشهود ومعناه الحضور أى العالم بكل شىء ، المشاهد لكل شىء ، الحاضر الذى لا يغيب عنه شىء فى ملكه ، وهو القائل سبحانه : (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) [4] .. وهو سبحانه وتعالى يشهد على خلقه ويفصل بينهم بعدله ، يقول تعالى : (قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ)[5] .. و((الله)) هو العليم ، وهو الخبير ، وهو الشهيد ، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم ، وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير ، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد ، ولذا فإنه – سبحانه وتعالى – يشهد على الخلق يوم القيامة بـما علم وشاهد منهم ، وهو القائل جَلَّ وعلاَ : (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) [6] .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْحَقُّ

« الْحَقُّ » : هو الواقع الثابت الذى لا خلاف عليه ، و« الْحَقُّ » ضد الباطل .. و« حَقَّ الأمرُ » : ثبت ووجب .. و« حق له » : ثبت له .. و« حُقَّ

---

[1] سورة الإسراء آية ٧٨ . [2] سورة مريم آية ٣٧ . [3] سورة البقرة آية ٢٨٢ .

[4] سورة فصلت آية ٥٣ . [5] سورة الأنعام آية ١٩ . [6] سورة المجادلة آية ٦ .

له » : أُثبِت له ، قال تعالى : (وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ) [١] أى كان حقًّا عليها أن تخضع لأمر الله .. و« أحق الأمرَ » أثبته وأظهره .. و« الحق » ما وجب لك أو عليك .. و« حقيق على كذا » : حريص عليه وأمين وجدير ، كما جاء فى قوله تعالى : (حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ) [٢] .. و« الحاقَّة » : اسم فاعل مؤنث أى الثابتة الصحيحة أو التى تبين الحق وتظهره ، يقول تعالى : (ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢) [٣] .. و« استحق الشىء » : استوجبه وصار من حقه ، كما فى قوله سبحانه : (فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمًا)[٤].. و« الحق » : القرآن ، و« الحق » : العدل والصدق والحكمة والبعث وكمال الأمر ، يقول الحق جلا وعلا : (فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ)[٥].. ويقول : (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ) [٦] .. ويقول : (وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ) [٧] .. ويقول : (فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ) [٨] .. ويقول : (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّا)[٩] .. ويقول (قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا)[١٠] أى صادقة بالنسبة إلى رؤيا « يوسف » الصديق .. والأشياء تتميز بأضدادها ، وكل أمر يُخبر عنه إما أن يكون باطلاً مطلقًا ، أو حقًّا مطلقًا ، أو باطلاً من وجه ، حقًّا من وجه ..

---

[١] سورة الانشقاق آية ٢ . [٢] سورة الأعراف آية ١٠٥ . [٣] سورة الحاقة الآيتان ١ ، ٢ .

[٤] سورة المائدة آية ١٠٧ . [٥] سورة المؤمنون آية ٤١ . [٦] سورة الأنعام آية ٧٣ .

[٧] سورة المائدة آية ٨٤ . [٨] سورة الأنعام آية ٥ . [٩] سورة الأنفال آية ٤ .

[١٠] سورة يوسف آية ١٠٠ .

فالباطل مطلقًا هو الممتنع بذاته .. والحق مطلقًا هو الواجب بذاته ، يقول تعالى : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ) [1] .. والممكن بذاته الواجب بغيره باطل من وجه ، وحق من وجه ، فهو – من حيث ذاته – لا وجود له فهو باطل ، وهو – من جهة واجب الوجود الذى أوجده – موجود فهو حق ، أى من جهة نفسه باطل ، ومن جهة ((الله)) الذى أوجده فهو حق ، ولذلك يقول الحق : (كُل شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [2] .. وهو سبحانه الموجود الحق أزلاً وأبدًا ، وكل شيء سواه – من حيث ذاته – لا يستحق الوجود ، إذًا فالحق المطلق : هو الموجود الحقيقى بذاته الذى منه يأخذ كل حق حقيقته .. ونعرف بأن أحق الموجودات بأن يكون حقا هو ((الله)) الحق ، وأحق العلوم بأن يكون حقا هو العلم بالله ، لأنه مطابق للمعلوم أزلا وأبدا .. وأما العلم بغيره : فإنه لا يكون دائما إلا بقدر دوام ذلك الغير ، فإذا انعدم عاد ذلك الاعتقاد وذلك العلم باطلا .. وقد يطلق الحق على الأقوال فيقال : قول حق ، أو قول باطل .. وعلى ذلك فأحق الأقوال قول « لا إله إلا الله » لأنه قول صادق أبدًا ، وأزلاً لذاته ، وإذًا يطلق الحق على الوجود فى الأعيان ، وعلى الوجود فى الأذهان وهو المعرفة ، وعلى الوجود الذى على اللسان وهو النطق .. فأحق الأشياء بأن يكون حقا هو الذى يكون وجوده ثابتا لذاته أزلا وأبدا ، ومعرفته حقا أزلا وأبدا ، والشهادة له حقا أزلا وأبدا ..

هو الحق المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة الحج آية ٦٢ .

(2) سورة القصص آية ٨٨ .

الْوَكِيلُ

« الْوَكِيلُ » : هو المتولى بإحسانه أمور عباده المتقين ، الموكَلُ إليه كل أمـــر .. الكفيل بالخلق .. فمن توكل عليه تولاه ، ومن استغنى به أغناه ، ومن فوض إليه أمره كفاه .. والموكول إليه : ينقسم إلى من وُكِلَ إليه بعضُ الأمور – وهذا ناقص – ومن وُكِلَ إليه كلُّ الأمور ، وليس ذلك إلا ((لله)) ..

والموكول إليه قد لا يستحق أن يكون وكيلا إلا بتفويض ، وهذا فقير إلى التوكيل ، مفتقر إلى التفويض .. أما من يستحق بذاته أن يكون كل أمر إليه موكول فهو الله ، تتوكل عليه القلوب لذاته .. و« الْوَكِيل » قد يفى بما يوكل إليه إلى حد ما ، و((الله)) – تبارك وتعالى – هو الذى من توكل عليه كفاه ، يفى بما وُكِل إليه وفاء تامًّا من غير قصور ، وهو يتولى الخلائق ، وهو نعم الوكيل ، قال تعالى : (ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٍ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ) [١] .. وهو وكيل من لا وكيل له ، قال تعالى : (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ وَكِيلٌ)[٢] .. (وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا)[٣] .. وقال : (فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ) [٤] .. وقال : (قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٍ) [٥] ..

---

[١] سورة آل عمران الآيتان ١٧٣ ، ١٧٤ . [٢] سورة الأنعام آية ١٠٢ . [٣] سورة إبراهيم آية ١٢ .

[٤] سورة آل عمران آية ١٥٩ . [٥] سورة الأنعام آية ٦٦ .

و« الْوَكِيلُ » : هو الناصر المعين والحافظ الأمين .. من « وكَّله بكذا » : عهد إليه القيام به ، قال تعالى : (فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمًا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ) [1] .. وقال : (قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ) [2] .. وقال : (إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ) [3] ..

والتوكل الحقيقى هو تسليم الأمر لمن له الأمر .. والرضا بالنتائج وإن جاءت على غير الهوى .. فالوكيل الحق .. والوكيل بحق .. هو ((الله)) ..

الْقَوِيُّ

« الْقَوِيُّ » هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ، ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله .. والقوة : تدل على القدرة التامة .. فمن هو بالغ القدرة : قوى .. و« قوى الشخص » : صار قادرًا على عمل كثير من الأعمال .. و« قوى الشىء » : تماسكت أجزاؤه ، قال تعالى : (كَٱلَّتِى نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا) [4] ..

وقد تطلق القوة على المعانى الحسية كالعقل والعزيمة والإرادة ، كقوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً) [5] .. والقوة بمعنى الجدِّ فى الأمر ، وصدق العزيمة ، كقوله تعالى : (خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٍ)[6] .. ووُصِف « جبريل » بالقوة فى قوله تعالى : (إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾

(1) سورة الأنعام آية ٨٩ . (2) سورة السجدة آية ١١ . (3) سورة يونس آية ٨٤ .
(4) سورة النحل آية ٩٢ . (5) سورة الروم آية ٥٤ . (6) سورة البقرة آية ٦٣ .

ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾) [١] .. وجمْعُ قوة : قُوى ، ومنه قوله تعالى : (عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ)[٢] ، قال المفسرون : الجمع للمبالغة فى شدة القوة ، وقد يكون المراد بالجمع : تنوع القوى ، فهى قوى متعددة لا يعلمها إلا ((الله)) .. ووصفت ابنة « شعيب » « موسى » بالقوة كما حكى القرآن : (إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ) [٣] ، ووصف بـها « العفريت » نفسه « لسليمان » كما حكى القرآن : (وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ)[٤] ، ووصف ((الله)) تبارك وتعالى نفسه بالقوة ، فقال : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ)[٥] ، وقال : (إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) [٦] ..

ولو نظرت إلى القُوَى المخلوقة فى الكون مثل الجاذبية والكهربية والتفاعلات الكيميائية وقوة الغازات والإشعاعات كالليزر وما إلى ذلك ، لعلمت أن خالق هذه القُوَى المتعددة لا تُدْرَك قوتُه ، ولا يُعرف كُنْه مكانته .. سبحانه وتعالى .. هو القوىّ المطلق .. هو ((الله)) ..

الْمَتِينُ

« الْمَتِينُ » من « مَتُنَ يمتُن متانة فهو متين » بمعنى صلب وقوى واشتد .. و« الْمَتِينُ » هو الذى له كمال القوة ، فلا يعترض أفعاله عارض ، ولا يمنع أمره مانع .. والمتانة تدل على شدة القوة .. ومن هو شديد القوة : متين .. ووصف

(١) سورة التكوير الآيتان ١٩ ، ٢٠ . (٢) سورة النجم آية ٥ . (٣) سورة القصص آية ٢٦ .
(٤) سورة النمل آية ٣٩ . (٥) سورة هود آية ٦٦ . (٦) سورة الحج آية ٤٠ .

ربنا نفسه ، فقال : (إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ) [1] .. وتوعد الكفار بقوله : (وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ)[2] .. و« متانة الكيد » : عدم اكتشافه ، ونفاذه بحيث لا يوقفه عارض .. و« الْمَتِين » : هو القادر قدرة تامة .. الشديد القوة .. ولا يعرف المتين إلا المتين .. سبحانه وتعالى .. والمتين المطلق .. هو ((الله)) ..

الْوَلِيُّ

« الْوَلِيُّ » هو المحب الناصر المتولى أمر خلقه ، المختصين بإحسانه ، يقول تعالى : (ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟)[3] .. (وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ)[4] .. (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ) [5] .. (وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ) [6] ..

والفعل « وليه يَلِيه ولاية » أى نصره وقام بأمره .. و« ولى يَلِىَ » بمعنى قرُب ، كقوله تعالى : (قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ)[7] ، والولاية جاءت فى قوله تعالى : (هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ)[8] ، وفى قوله تعالى : (وَٱلظَّـٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ)[9] ، وفى قوله تعالى : (إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ)[10] ، وفى قوله تعالى : (فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ)[11] .. سبحانه وتعالى .. هو الولىُّ الحق .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة الذاريات آية ٥٨ . (2) سورة الأعراف آية ١٨٣ . (3) سورة البقرة آية ٢٥٧ .
(4) سورة الجاثية آية ١٩ . (5) سورة محمد آية ١١ . (6) سورة الشورى آية ٢٨ .
(7) سورة التوبة آية ١٢٣ . (8) سورة الكهف آية ٤٤ . (9) سورة الشورى آية ٨ .
(10) سورة الأعراف آية ١٩٦ . (11) سورة الشورى آية ٩ .

الْحَمِيدُ

« الْحَمِيدُ » هو المحمود على كل حال .. المستحق الحمد .. الحميد بحمده نفسه أزلا ، وبحمد عباده له أبدًا ، فهو الحميد المطلق .. والحميد من صفات الذات لأنه الموصوف بصفات الكمال .. والفعل « حَمِدَه يحمَدُه حمدًا » : أثنى عليه بالجميل .. و« حمد الشيء » : رضى عنه وارتاح إليه .. واسم الفاعل : حامد ، قال تعالى : (ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ) [1] .. واسم المفعول : محمود ، قال تعالى : (عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا) [2] .. وقال ((الله)) مثنيا على نفسه : (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ) [3] .. وقال آمرًا : (قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ) [4] .. وافتتح ((الله)) الخلق بالحمد ، فقال : (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ) [5] .. وختم الدنيا بالحمد ، فقال : (وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) [6] .. وهى قول المؤمنين عند البعث : (يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ) [7] .. وعند رؤية الجنة : (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِىَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ) [8] .. وعند دخول الجنة : (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُ)[9] .. وعند النجاة من النار : (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) [10] .. وهى كلمة تملأ ما بين

---

(1) سورة التوبة آية ١١٢ .
(2) سورة الإسراء آية ٧٩ .
(3) سورة الفاتحة آية ٢ .
(4) سورة النمل آية ٥٩ .
(5) سورة الأنعام آية ١ .
(6) سورة الزمر آية ٧٥ .
(7) سورة الإسراء آية ٥٢ .
(8) سورة الأعراف آية ٤٣ .
(9) سورة الزمر آية ٧٤ .
(10) سورة فاطر آية ٣٤ .

السماء والأرض ، وقال بعضهم : (إنـــها أَجَلُّ من كلمة التوحيد لأنـــها تجمـــع التوحيد والحمد) .. والحقيقة أن أجل كلمة هى كلمة التوحيد ..

والحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى ، أما المدح فهو الثناء علـــى الجميـــل مطلقًا .. وحقيقة الحمد الذى يستحقه الحميد ، لا يعلمه إلا الحميد ، الذى حمـــد نفسه بنفسه .. وقال النبى (ﷺ) : (لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْـــتَ عَلَـــى نَفْسِكَ) [1] .. وحدث النبى (ﷺ) أصحابه أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَالَ : (يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ) ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا ، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالا : يَا رَبَّنَا .. إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا ! قَالَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ قَالا : يَا رَبِّ إِنَّهُ قَالَ : (يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ) فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا : اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا [2] ..

سبحانه هو « الْحَمِيد » .. وهو كما أثنى على نفسه من الأزل .. فهو الحميـــد أزلا وأبدًا .. وهو الحميد المطلق .. هو ((الله)) ..

الْمُحْصِي

« أَحْصَى الشَّىء » : عدَّه وحَفِظَه .. وأصل الكلمة من : « العَدُّ بالْحَصَى » ، فقد كانت العرب قديمًا تَعُدُّ بالحصى .. و« الإحصاء » : العدّ على سبيل الحصر ، ومنه قوله تعالى : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ) [3] ، وقولـــه : (وَكُلَّ شَىْءٍ

[1] رواه مسلم كتاب الصلاة . [2] رواه ابن ماجه كتاب الأدب . [3] سورة إبراهيم آية ٣٤ .

أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ)[1] ، وقوله : (وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ)[2] ، وقوله : (ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدٗا)[3] ، وقوله : (وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدَۢا)[4] ، وقوله : (لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّٗا)[5] ..

و« المحصى » : المحيط بكل موجود جملة وتفصيلا .. لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، بالظواهر بصير ، وبالبواطن خبير ، وهو الذى أحصى بعلمه كل شىء .. والمحصى المطلق هو الذى ينكشف فى علمه حد كل معلوم وعدده ومبلغه .. وعلم المولى بالأشياء لا نهاية له ، ومعلومات ((الله)) لا نهاية لها .. وإذا كان الأمر كذلك فالإحصاء فوق الخيال ، لأن ما يُحصى لا حد له ، ولا حصر له ، ولا يستطيع حصره وإحصاءه إلا المحصى المطلق .. ومما يُذْهِل المجرمين يوم القيامة ما سُطر عليهم فيقولون كما حكى عنهم القرآن : (وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا)[6] .. والأمم السابقة ، يقول الله عز وجل فى شأنهم : (وَكُلُّ شَيْءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسْتَطَرٌ)[7] فالإحصاء غير متناه للموجودات ومكوناتها ، وأعمال المخلوقات ، وحركاتها ، وسكناتها ، يقول تعالى : (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)[8] ..

سبحان من أحاط بكل شىء علمًا .. وأحصى كل شىء عددًا .. سبحانه وتعالى .. هو المحصى الحق .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة يس آية ١٢ .
(2) سورة الطلاق آية ١ .
(3) سورة الكهف آية ١٢ .
(4) سورة الجن آية ٢٨ .
(5) سورة مريم آية ٩٤ .
(6) سورة الكهف آية ٤٩ .
(7) سورة القمر الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .
(8) سورة الأنعام آية ٥٩ .

الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ

« الإبداء » : هو الإيجاد لشيء غير مسبوق بمثله ، فإن كان مسبوقًا بمثله يسمى « إعادة » ، و« المبدئ » هو الذى أظهر الأشياء من العدم إلى الوجود ، و« المعيد » : هو الذى يعيدها بعد فنائها ، قال تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ) [1] .. (إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ) [2] .. (كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٍ نُّعِيدُهُۥ) [3] .. (كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ) [4] .. (وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ) [5] .. (إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ) [6] .. (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ) [7] ..

« بدأه وابتدأه وأبدأه » : فعله مبتدئًا على غير مثال سابق .. وأمثلة البدء والإعادة فى الخلق كثيرة ، مثل : الحبة والشجرة ، والبيضة والفرخة ، وما إلى ذلك .. والمبدئ المطلق .. والمعيد المطلق .. هو ((الله)) ..

الْمُحْيِي الْمُمِيتُ

« الْمُحْيِي » هو الذى خلق الحياة فى كل حى ، و« الْمُمِيت » هو الذى خلق الموت فى كل مَنْ أماته .. وهو الذى خلق الموت والحياة .. وهو يُحيى من يشاء ، ويُميت من يشاء ، فهى أفعال تتعلق بمشيئته وقدرته .. وهو خالق الحياة فى

[1] سورة الروم آية ٢٧ .
[2] سورة البروج آية ١٣ .
[3] سورة الأنبياء آية ١٠٤ .
[4] سورة الأعراف آية ٢٩ .
[5] سورة سبأ آية ٤٩ .
[6] سورة يونس آية ٤ .
[7] سورة العنكبوت آية ١٩ .

كل شيء .. يحيى الخلق من العدم .. ثم يحييهم بعد الموت يوم القيامة ، قال تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[1] .. ويُحيي الأرض ، قال تعالى : (فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ)[2] .. ويُحيى القلوب بالإيمان ، قال تعالى : (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ)[3] ..

و« الْمُمِيت » هو الذى يسلب الحياة ، قال تعالى : (وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا)[4] .. ويميت بالنوم ويحيى بالإيقاظ ، قال تعالى : (فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ)[5] .. وفرَّق الله بين الموت والقتل ، قال تعالى : (أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ)[6] .. وسمى الموت مصيبة ، فقال : (فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ)[7] .. وفرَّق بين مَنْ مات شهيدًا ومَنْ مات غير شهيد ، فقال : (وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[8] .. ونهى عن تسمية الشهيد ميتا ، فقال : (وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ)[9] ..

وأى قاتل لشيء ، أو مميت لشيء - كالصيد والذبح والقتل وما إلى ذلك - فالحقيقة أنه يتلف البدن فقط ، أو يفسده أو يدمره .. أما المميت الحقيقى .. فهو ((الله)) ..

---

[1] سورة البقرة آية ٢٨ .
[2] سورة الروم آية ٥٠ .
[3] سورة الأنعام آية ١٢٢ .
[4] سورة النجم آية ٤٤ .
[5] سورة البقرة آية ٢٥٩ .
[6] سورة آل عمران آية ١٤٤ .
[7] سورة المائدة آية ١٠٦ .
[8] سورة آل عمران آية ١٦٩ .
[9] سورة البقرة آية ١٥٤ .

والموت مخلوق والحياة مخلوقة ، قال تعـــالى : (خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ) [1] .. والموت سابق على الحياة ، فقد كان الكون عدمًا ، قال تعالى : (وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ) [2] .. والإحياء والإماتة لا يقدر عليها إلا المحيى المميت ، لأن الحياة نفسها سر ، والموت سر أعظم .. وألوان الحياة فى الإنسان والحيـــوان والنبـــات والكائنات الحية والميكروبات والفيروسات والجراثيم والكائنات الدقيقة والرخويات وما إلى ذلك – تثير العجب والحيرة .. وسر الحياة فى الإنسان الروح ، والروح من أمر ربى ، ونزع الروح بأمر ((الله)) ، وكنه الروح غير معلوم وهو مما وراء العقل ، قال تعالى : (فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى) [3] ، وقال : (ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ) [4] .. واتصال الروح بالجسد ومفارقتها له أمور تخرج عن طاقة العقل البشرى وعن حدود العلم .. وعليه فلا يعلم « الْمُحْيِي » إلا « الْمُحْيِي » .. ولا يعلم « الْمُمِيت » إلا « الْمُمِيت » .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْحَيُّ

« الْحَيُّ » هو الموصوف بالحياة الدائمة ، التى لا يعتريها فناء ولا مـــوت ولا عدم ولا نقص ، وله البقاء المطلق ، ولا يسبق حياته عدم ، ولا يلحق حياته عدم أو فناء ، وهو المدرك الفعال .. ودرجة الرقى فى الحياة تُحسب على أساس الإدراك والفعل .. فدرجة حياة الحيوان أرقى من درجة حياة النبات ، ودرجة حياة الإنسان

[1] سورة الملك آية ٢ .
[2] سورة البقرة آية ٢٨ .
[3] سورة الحجر آية ٢٩ .
[4] سورة السجدة آية ٩ .

أرقى من درجة حياة الحيوان حيث ترقى الأفعال وترقى درجات الإدراك .. والإنسان المؤمن أرقى حياة من الفاسق ، والفاسق أرقى من الكافر .. وسمى الله المؤمن حيًّا ، وسمى الكافر – بالقياس عليه – ميتًا ، فقال تعالى : (وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ) [1] .. فإذا كانت درجات الحياة تتفاوت طبقًا لتفاوت درجات العقل والإدراك ، فالحى المطلق هو الذى تندرج تحت علمه جميع المدركات ، وتخضع لسلطان قهره كل الموجودات ، لا يشذ عن علمه مُدْرَك ولا عن فعله مفعول .. وهو الذى خلق الأفعال .. ولا فاعل على الحقيقة إلا هو .. وهو الذى خلق الإدراك وخلق التمييز للكائنات والموجودات .. وهو الذى خلق العقول والقلوب .. بل هو الذى خلق الحياة نفسها .. وكل حياة فى الوجود مستمدَّة من وجوده .. فلا شك أنه الحى المطلق ، قال تعالى : (هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ)[2] .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْقَيُّومُ

« الْقَيُّومُ » هو القائم بنفسه الذى لا يفتقر فى قيامه إلى غيره ، فهو قائم بذاته على الإطلاق ، الغنى عن غيره ، وكل ما عداه مستند إليه ، ولا قوام للموجودات إلا به .. فهو القائم بذاته ، المقيم لغيره ، المستغنى بذاته ، ولا غنى لغيره عنه ، ولا قوام لأى شىء إلا به .. المنزّه عن التحيّز والحلول .. المبرّأ عن التغيّر والفتور ..

---

[1] سورة فاطر آية ٢٢ .

[2] سورة غافر آية ٦٥ .

لا يناسب الأشباح .. ولا يعتريه ما يعترى الأرواح .. وهو البالغ النهاية فى الكمال فى تدبير الملك والملكوت ، ولا قيوم سواه .. ولا يطلق هذا الاسم على غـــيره .. وصيغة المبالغة لقائم « قوَّام » ، كما جاء فى قوله تعالى : (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ) (١) .. أما « قيوم » : فهى من أسماء ((الله)) الحسنى ، وهى صيغة مبالغة لا يوصف بـــها سواه .. وصيغة الفاعل جاءت فى قوله تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)(٢) ، وفى قوله : (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ)(٣) ، وجاء الاسم فى قولـــه : (وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ) (٤) وذلك يوم القيامة .. إذ إنه – سبحانه – هو الحى المطلق .. القيـــوم المطلق .. كما جاء فى قوله : (ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ) (٥) فهو الحى أزلا وأبدًا ، القيوم أزلا وأبدًا .. وقيل إن الاسم « القيوم » هو الاسم الأعظـــم ، وإذا استغاث به المستغيث أغاثه ، فقد أُثر عن النبى (ﷺ) قوله : (يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ) (٦) ..

سبحان القيوم المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْوَاجِدُ

« وَجَدَ وُجْدًا وجِدَةً » : استغنى وصار ذا مال ويسار .. و« الوُجْـــد » : اليَسار والسَّعـــة ، كما فى قولـــــه تعـــالى : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن

(١) سورة النساء آية ٣٤ .
(٢) سورة الرعد آية ٣٣ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٨ .
(٤) سورة طه آية ١١١ .
(٥) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٦) رواه الترمذى كتاب الدعوات .

وُجۡدِكُمۡ)[1] أى من وسعكم وما تجدون من مال ، أى فى حدود قدرتكم .. و« وَجَدَ يَجِدُ وِجْدانا ووُجودا » : أدركه وأصابه وصادفه ، كما جاء فى قوله تعالى : (إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ)[2] ، وفى قوله تعالى : (سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[3] ..

ويقال « وجد الشىء » : عَلِمَهُ وعَرَفَهُ ، كما جاء فى قوله تعالى : (قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ)[4].. و« واجدٌ للشىء » : قادر عليه ، فهو مَوْجُودٌ مقدور عليه .. و« الوجود » خلاف العَدَم .. و« أوجد الله الشىء من العدم » : أنشأهُ من غير سبق مثال فَوُجِدَ فهو موجود .. و« وَجَدَ يَجِدُ وَجْدًا » : حَزِنَ .. و« وَجَد عليه مَوْجدَة » : غَضِبَ عليه .. و« وَجَد به وَجْدًا » : أحَبَّهُ .. و« الموجود » : الثابت فى الذِّهن وفى الخارج .. و« الواجد » ضد الفاقد ، فهو الذى يجد ما يريده ، وكل شىء حاضر لديه ، فلا يعوزه شىء .. وهذا الاسم غير وارد فى القرآن الكريم لكنه متفق عليه ..

والذى يفقد ما لا حاجة له به فليس بفاقد ، وكذلك من يكون عنده ما لا يحتاجه فى الحال أو المآل فليس بواجد .. إذ الواجد هو الذى لا يفتقد شيئًا هو محتاج إليه فى وجوده أو بقائه أو كماله .. والواجد المطلق هو المستغنى بذاته عن كل شىء ، والمستوفى لصفات الجلال والكمال وكل صفات الألوهية القائمة بذاته

---

[1] سورة الطلاق آية ٦ . [2] سورة النمل آية ٢٣ . [3] سورة القصص آية ٢٧ .
[4] سورة الأنعام آية ١٤٥ .

أزلا وأبدًا .. فهو الواجد المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْمَاجِدُ

« الْمَاجِدُ » صفة بمعنى « المجيد » كالعالم بمعنى العليم ، لكن صيغة « الفعيل » أكثر مبالغة من صيغة الفاعل ، وهذا الاسم لم يرد فى القرآن أيضًا كالواجد ، وهو مشتق من « المجد » وهو نهاية الشرف .. وشرف الذات إذا قارنه حُسن الفعال سمى « مجدًا » ، ولا شرف يعلو على شرف الذات العلية ، ولا صفات تدانى الصفات الأزلية .. ولا أفعال للمخلوقات على الحقيقة بل ((الله)) هو خالق الموجودات وموجد الكائنات وما لها من حركات وسكنات .. فهو الفعال على الحقيقة .. وكل الأفعال من حيث ((الله)) حسنة جميلة .. فهو الماجد المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْوَاحِدُ

الآحاد أربعة أنواع :

الأول : يتحيّز وينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجسم .

الثانى : يتحيّز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو الجوهر الفرد مثل العقل ، ومثل الروح .

الثالث : لا يتحيّز ولا ينقسم ويفتقر إلى محل وهو العَرَض ، أو ما يسمى بالعارض مثل الهم ، ومثل الحزن .

الرابع : لا يتحيّز ولا ينقسم ولا يفتقر إلى محل ، وهو الواحد المطلق المنفرد فى ذاته

وصفاته وأفعاله .. فهو واحد فى ذاته لا ينقسم ولا يتجزأ .. واحد فى صفاته فـــلا يشبه شيئًا ولا يشابـــهه شىء .. وواحد فى أفعاله فلا شريك له فيها .. وهـــو الواحد القديم وغيره حادث .. وهو الواحد الباقى وغيره فانٍ .

وهو الوتر المطلق ، لقولــــــه تعـــالى : (وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ) [1] فنعلم أن خالق الأزواج فرد ، فلا يُقَدَّرُ فى صفته حركة ولا سكون ، ولا ضياء ولا ظلام ، ولا قعود ولا قيام ، ولا ابتداء ولا انتهاء ، إذ هو – عز وجل – وتر : (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٌ) [2] .. وكل شىء له شبيه ونظير وند وضـــد : كالشمس والقمر ، والليل والنهار ، والسماء والأرض ، والذكر والأنثى ، والجن والإنس ، والخير والشر ، والقيام والقعود ، والنوم واليقظة ، والموت والحياة ، والحلو والمر ، والداء والدواء ، والمرض والشفاء ، والعقل والجنون ، والأمانـــة والخيانة ، والإسراف والتقتير ، والطول والعرض ، والشمال والجنوب ، والشرق والغرب .. وهكذا بلا نـــهاية ..

والواحد المطلق الذى لا شبيه له ولا نظير ، ولا ند ولا ضد ، ولم يتكون من أجزاء ، ولا يجوز عليه الانقسام .. هو الواحد المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الصَّمَدُ

« الصَّمَدُ » هو الذى يُصمد إليه فى الحوائج ، ويُقصد إليـــه فى الرغائـــب ، ويُفزع إليه فى الشدائد .. هو الذى لا جوف له ، فلا يحتاج إلى طعام وشراب ..

---

[1] سورة الذاريات آية ٤٩ .

[2] سورة الشورى آية ١١ .

والمنــزه عن الآفات ، ويبقى ولا يزول ، السيد الذى قــد كَمُــل فى ســؤدده ، والشريف الذى قد كَمُل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته ، والحلــيم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل فى جميع أنواع الشرف والسؤدد ، ولا زوال له .. ولم يلد .. ولم يولد .. وليس كمثله شىء .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ

« القَادِرُ » و« الْمُقْتَدِرُ » صفتان مشتقتان من القدرة ، ومــن الاقتــدار .. قـــال تعـــالى : (قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ)[1] .. وقال : (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ)[2] .. وقال : (فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ)[3] .. وقال : (فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ)[4] ..

« القَادِرُ » : ذو القدرة التامة الذى لا يعجزه شىء ، ولا يتقيد بأســباب ، وهو المتمكن من الفعل بلا معالجة ، ولا وساطة ، ولا أداة ، ولا جارحــة ، ولا يلحقه عجز فيما يريد إنفاذه ، الذى يَقدِر على إيجاد المعدوم وإعدام الموجــود .. وهو الذى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل .. والقادر المطلق هو الذى يخترع كــل موجود اختراعًا ينفرد به ويستغنى فيه عن معاونة غيره ..

[1] سورة الأنعام آية ٦٥ .
[2] سورة المرسلات آية ٢٣ .
[3] سورة القمر آية ٤٢ .
[4] سورة القمر آية ٥٥ .

« الْمُقْتَدِر » : عظيم القدرة المسيطر بقدرته البالغة على كل شىء ، المستولى على كل شىء .. و« الْمُقْتَدِر » أبلغ من « القَادِر » لأن زيادة المبنى [1] تدل على زيادة المعنى .. و« الْمُقْتَدِر » : الذى يقدر على إصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه غيره فضلاً منه وإحسانًا .. قال تعالى : (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا)[2] .. سبحانه وتعالى .. هو القادر المطلق .. والمقتدر المطلق .. هو ((الله)) ..

الْمُقَدِّمُ الْمُؤَخِّرُ

صفتان من صفات الله الفعلية .. والتقديم والتأخير لابد أن يكونا بالإضافة .. فتقديم شىء معناه جعله قدام غيره وهكذا .. والتقديم كما يكون فى المكان يكون فى الزمان ، ويكون أيضا فى الرتبة والمقام ، ولابد فيه من مقصد أو غاية يضاف إليها التقدم لما يتقدم ، والتأخر لما يتأخر .. و« الْمُقَدِّم والْمُؤَخِّر » : هو الذى يقدم بعض الأشياء على بعض فى الوجود ، ويقدم الأسباب على مسبباتها ، ويقدم الزمان على الزمان ، والمكان على المكان ، والحركة على الحركة ، والأمم على الأمم ، والقرون على القرون ، ويقدم من شاء من عباده بالعلم والطاعة والتقوى والإنابة والشرف والاستجابة ، ويقدم من يشاء فى الدنيا والآخرة بإعطائهم الدرجات العالية .. وهو الذى يؤخر إيجاد بعض الأشياء عن بعض بمشيئته ، ويؤخر

[1] عدد حروف كلمة « مقتدر » يزيد على عددها فى كلمة « قادر » ، وأى زيادة فى حروف كلمة عن عدد حروف كلمة أخرى مشابهة لها ، يفيد زيادة المعنى فى الكلمة الأولى .

[2] سورة الكهف آية ٤٥ .

من يشاء من عباده فى الشرف والرتبة والقرب والحب والتقوى والطاعة والعلم والهداية .. سبحانه وتعالى يقدم ويؤخر ما يشاء ومَنْ يشاء على مقتضى حكمته .. ولا يقع شيء فى الملك والملكوت إلا وفق إرادته .. وكل متقدم فهو مقدَّم بالإضافة إلى ما بعده ، متأخر بالإضافة إلى ما قبله .. وكل متأخر فهو مؤخَّر بالإضافة إلى ما قبله ، مقدَّمٌ بالإضافة إلى ما بعده .. وكل متقدم لم يتقدم بعمله أو بعلمه .. وكل متأخر لم يتأخر بقصده أو بفعله .. ولكن الله – تبارك وتعالى – هو المقدم وهو المؤخر يخلق ما يشاء ويختار : (مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[1] .. وهو القائل : (إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ)[2] .. وهو القائل : (وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا)[3] .. وهو القائل : (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ)[4] ..

سبحانه وتعالى .. هو المقدم وهو المؤخر .. هو ((الله)) ..

الأَوَّلُ الآخِرُ

« الأَوَّلُ » هو القديم السابق على كل شيء ، و« الآخِرُ » هو الباقى وحده بعد فناء كل شيء .. فهو أول بلا بداية ، وآخر بلا نهاية .. فقد كان موجودًا بذاته قبل وجود مخلوقاته ، وكان موجودًا وحده ولا شيء معه ، وهو الباقى وحده بلا انتهاء ، حيث لا يجوز عليه سبحانه الفناء ، بل يُفنى خلقه ويبقى بعد فنائهم ،

---

(1) سورة القصص آية ٦٨ . (2) سورة الأنبياء آية ١٠١ . (3) سورة السجدة آية ١٣ .
(4) سورة الأنعام آية ١٦٥ .

ثم يبعثهم ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .. والأوَّل يكون أولا بالإضافة إلى شىء ، والآخر يكون آخرًا بالإضافة إلى شىء ، وهما متناقضان .. فقال بعضهم : هو الأول بالإضافة إلى الموجودات ، إذ هو موجود من الأزل بذاته ، والموجودات كلها استفادت الوجود منه ، وهو آخر بالإضافة إلى السلوك ، فهو آخر ما ترقى إليه درجات العارفين ، وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهى مرقاة إلى معرفته ، والمنزل الأقصى هو معرفة الله تعالى ، وإليه المرجع وإليه المصير ..

والأفضل أن يقال هو الأول المطلق والآخر المطلق .. فله الخلق والأمر ، وإليه يرجع الأمر كله ، وإلى الله تصير الأمور ، وهو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه .. ولا يعرف « الأَوَّل » إلا « الأَوَّل » .. ولا يعرف « الآخِر » إلا « الآخِر » .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ

« الظَّاهِرُ » هو الظاهر بالقدرة على كل شىء ، والظاهر بالأدلة العقلية لكل شىء ، فما من موجود فى الأرض ولا فى السماء من كائنات وأجرام وأوصاف وموصوفات وأسباب ومسببات إلا وهى شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مدبر دبرها وقدرها وأوجدها وخصصها بخصوص صفاتها ، قال تعالى : (وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾) [1] .. شهدت له

[1] سورة الذاريات الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

الكواكب فى شروقها والغروب ، وأقرت به الأحياء فى مطعومها والمشـــروب .. والكون كله بما فيه ومَن فيه مظهر من مظاهر أسمائه وصفاته ..

« الْبَاطِنُ » هو المحتجب عن إدراك الأبصار ، الباطن بكنه ذاته عـــن إدراك العقول والأفكار ، فهو باطن عن إدراك الحواس وخزانة الخيال ، فكل ما خطـــر ببالك فالله خلاف ذلك ..

فهو سبحانه وتعالى « الظَّاهِر » إن طُلب من العقل بطريقـــة الاســـتدلال ، « الْبَاطِن » إن طُلب من طريق الحواس وتوهمات الخيال .. فهو عز وجل « الظَّاهِر » من جهة التعريف ، « الْبَاطِن » من جهة التكييف ..

فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره ، وخفى عليهم بشدة ظهـــوره ، فهـــو « الظَّاهِر » الذى لا أظهر منه .. وهو « الْبَاطِن » الذى لا أبطن منه .. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْوَالِي

« الْوَالِي » هو المتولى أمور خلقه بالتدبير والقدرة والفعل ، فهو سبحانه المالك للأشياء المتكفل بـــها ، القائم عليها بالإدامة والإبقاء ، المنفرد بتدبيرها ، المتصـــرف فيها بمشيئته .. ينفذ فيها أمره ، ويجرى عليها حكمه .. ولا وَالِىَ للأمور ســـواه .. فهو الحاكم على الإطلاق فلا يزاحمه أحد .. والولاية تُشعر بالتدبير والقدرة والفعل والحكم .. ولا يجتمع كل ذلك إلا ((لله)) .. هو الوالى الحق .. والوالى المطلق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْمُتَعَالِي

« الْمُتَعَالِي » هو الكامل فى العلو والعظمة ، البالغ الكمال فى الرفعة والكبرياء فى ذاته وصفاته ، المترفع عن النقائص ، وعن إحاطة العقول والأفكار .. والعلو مقابل للسُّفل ، وذلك إما فى درجات محسوسة كالأجسام ، وإما فى الرتب المعقولة للموجودات المترتبة نوعًا من الترتيب العقلى .. وكل ما له الفوقية فى المكان فله العلو المكانى ، وكل ما له الفوقية فى الرتبة ، فله العلو فى العلو ، ومثال الدرجات العقلية هو التفاوت بين السبب والْمُسَبَّب ، والعلة والمعلول ، والفاعل والمفعول ، والكامل والناقص .. فالسبب أعلى من المسبب ، والفاعل أعلى من المفعول ، والعلة أعلى من المعلول ، والكامل أعلى من الناقص ..

وعليه فإن الموجودات لا يمكن قسمتها فى العقل إلى درجات متفاوتة إلا ويكون الحق – تبارك وتعالى – فى الدرجة العليا من درجات أقسامها ، إذ لا يُتصور أن يكون فوقه درجة ، وذلك هو العلو المطلق .. وكذلك تنقسم الموجودات إلى ميّت وحيّ ، والحى ينقسم إلى ما ليس له إلا الإدراك الحِسِّى كالبهائم ، وإلى ما له إدراك حِسِّى وعقلى كالإنسان ، والإنسان مكلف مبتلى قد يسلّمه ((الله)) وقد لا يسلمه .. والملائكة مسلمة من العيوب ، مبرأة من الذنوب ، فهى أرقى من الناس .. والناس أرقى من البهائم علوًّا فى الرتبة ..

و((الله)) تعالى « متعالٍ » على الكل فهو الحيُّ المطلق ، المحيى ، وخالق الحياة .. العالم المطلق ، والخالق لعلوم العلماء .. المنزه والمقدس عن جميع أنواع النقص .. وهكذا .. يجب أن نفهم العلوَّ بالنسبة إلى الذات العلية ، ولا يصح ولا يجوز

أن نفهم العلو على أنه علو مكانى ، ((فالله)) – تبارك وتعالى – مقدَّس منـــزَّه عن التحدد والتقدر بحدود الأجسام .. وهو فوق كل شىء فوقية لا تزيده بعدًا عن خلقه ، بل هو قريب من كل موجود ، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ، وقربه من خلقه لا يماثل قرب الأجسام ، كما لا تماثل ذاته ذوات الأجسام .. وهو فى قربه من خلقه بائن عنهم بالصفات ، رفيع الدرجات عن الأرضين والسموات .. وعلوه المطلق ليس بالإضافة إلى شىء ، وفوقيته – سبحانه وتعالى – بحسب الوجوب ، وليس بحسب الوجود .. فهو العلى المطلق الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى عمـــا يشركون .. سبحانه وتعالى عما يصفون .. سبحانه وتعالى عما يقولون عُلوًّا كبيرًا .. هو العلى .. وهو الأعلى .. وهو المتعالى .. هو ((الله)) ..

الْبَرُّ

« الْبَرُّ » هو المتوسع فى الإحسان ، يَمُنُّ على عباده دينًا ودنيـــا ، ولا يقطـــع الإحسان بسبب العصيان .. و« الْبَرُّ » المطلق هو الذى منه كل مـــبرة وإحســـان ، يوصل الخير إلى من يريد برفق ولطف ، قال تعـــالى : (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ)[1] .. والعبد يُرزق البِرَّ كما فى قوله : (وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا)[2] .. وقوله : (وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا)[3] .. وقد علمنا الله الطلب فقال : (وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ)[4] .. وبشَّر على ذلك فقال : (وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ)[5] .. وأمرنا

---

[1] سورة الطور آية ٢٨ . [2] سورة مريم آية ١٤ . [3] سورة مريم آية ٣٢ .
[4] سورة آل عمران آية ١٩٣ . [5] سورة آل عمران آية ١٩٨ .

بالبرِّ حتى ننال ما عند البَرِّ – سبحانه – فقال : (وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ) [1] .. وقال منبّهًا : (لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ) [2] .. وأوضح طريق البرِّ المقبول فقال : (وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ) [3] أى ولكن البرَّ برُّ من آمن .. ووصف الملائكة مُثْنيًا عليهم فقال : (بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦) [4] .. فهو « الْبَـرُّ » المطلق .. والبِرُّ منه تفضلا وإحسانًا .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

التَّوَّابُ

« تاب يَتوب توبًا وتوبة ومَتابًا وتابةً » : رجع عن المعصية .. و « تاب إلى الله » : رجع إليه بالطاعة بعد المعصية .. و« تاب الله عليه » : وفَّقه للتوبة وقبلها منه وسلك به سبيل الرشاد .. قال تعالى : (فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ) [5] .. وقال : (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ) [6] .. وقال : (غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ) [7] .. وقال : (وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا) [8] ..

و« التَّوَّاب » : صيغة مبالغة كما جاء فى قوله : (إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ) [9] وهم الذين يتوبون دائمًا عن كل ذنب ومعصية وهَمٍّ وخاطِر .. و« التَّوَّاب » من أسماء ((الله)) الحسنى وهو صفة من صفاته الفعلية ، ومعناه : كثير

(1) سورة المائدة آية ٢ .
(2) سورة آل عمران آية ٩٢ .
(3) سورة البقرة آية ١٧٧ .
(4) سورة عبس الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(5) سورة المائدة آية ٣٩ .
(6) سورة التوبة آية ١١٨ .
(7) سورة غافر آية ٣ .
(8) سورة الفرقان آية ٧١ .
(9) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

قبول التوبة .. قال تعالى : (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ) [1] .. وقال : (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ) [2] .. و« التَّوَّاب » هو المهيئ أسباب التوبة لعباده .. يحذرهم ويمهلهم ويذكرهم ، فإن تابوا تاب عليهم ، وإن عادوا للذنب سهل لهم أسباب التوبة مرة بعد أخرى ، ولو أذنب العبد مائة مرة فى اليوم وتاب إلى الله فى كل مرة تـــاب عليه .. سبحانه يعود بأصناف الإحسان على عباده : فيوفقهم بعد خِذْلان ، ويعطيهم بعد حرمان ، ويخفف عنهم بعد تشديد ، ويعفو عنهم بعد وعيد ، ويخرجهم من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور .. سبحانه وتعالى لا تضرُّه المعاصى ، ولا تنفعه الطاعات .. هو الرازق للتوبة والموفق لها والقابل لهـــا ، وبــــــها يـــبدل السيئات حسنات .. هو التواب .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْمُنْتَقِمُ

« الْمُنْتَقِمُ » هو الذى يقصم ظهور الطغاة ، ويشدد العقوبة على المصـــرين العصاة .. والانتقام غاية النكال .. يقول سبحانه : (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ)[3] .. ويقول : (إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ)[4] .. ويقول : (فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ)[5] .. ويقول : (وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ)[6] ..

والانتقام أشد من العقوبة العاجلة التى لا تمكِّن الظَّلَمة من الإمعـــان فى المعصـــية والطغيان .. ولا يكون الانتقام إلا بعد إمهال وإملاء ، فيقصم ظهور العتاة ، ويُنَكِّـــل

[1] سورة الحجرات آية ١٢ . [2] سورة البقرة آية ٥٤ . [3] سورة إبراهيم آية ٤٧ .
[4] سورة السجدة آية ٢٢ . [5] سورة الزخرف آية ٥٥ . [6] سورة المائدة آية ٩٥ .

بالجناة ، ويُشدِّد العقاب على الطغاة ، وذلك بعد الإعلان والإنذار ، وبعد التمكين والإمهال .. والفعل « نَقَمَ منه » أى عَاقَبه .. و« نقِم الشىءَ » : أى أنكره وعابه وكرهه ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦ) [1] ..

ولا يكون الانتقام إلا من الجبارين العتاة فى الإجرام ، يقول الله تعالى : (فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ) [2] .. ويقول : (إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ) [3] .. هو الفعال لما يريد .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْعَفُوُّ

« عفا عن الذنب عفوًا » : تجاوز عنه وترك العقاب عليه فهو عاف عن الذنب ، وصيغة المبالغة « عفوّ » أى كثير العَفْو .. قال تعالى : (إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ)[4] أى يتجاوزن عن حقهن فى نصف المهر إذا طُلقن قبل الدخول .. وقال تعالى : (خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ)[5] أى خذ ما عفا عنه الناس وسمحوا به عن طيب خاطر .. وقال : (وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ)[6] أى ما زاد عن حاجتكم الضرورية وسمحت به نفوسكم .. ومن الدعاء فى القرآن : (وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا) [7] .. وأمر بالعفو فقال : (فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ) [8] ..

---

(1) سورة التوبة آية ٧٤ . (2) سورة الروم آية ٤٧ . (3) سورة السجدة آية ٢٢ .
(4) سورة البقرة آية ٢٣٧ . (5) سورة الأعراف آية ١٩٩ . (6) سورة البقرة آية ٢١٩ .
(7) سورة البقرة آية ٢٨٦ . (8) سورة البقرة آية ١٠٩ .

وقال : (وَٱلۡكَـٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ)(١) .. وقال عن نفسه عز وجل : (وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) (٢) .. وقال مؤكدًا : (إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) (٣) .. والعفو أبلغ من الغفران ، لأن المغفرة ستر الذنوب ، والعفو محو وغفران .. يقول تبارك وتعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ) (٤) .. وقول النبى (ﷺ) : (التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ) (٥)يدل على محو الذنب وكأنه لم يكن .. سبحان العفوّ .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الرَّءُوفُ

« رَأَفَ بِهِ يَرْأَفُ وَيَرْؤُفُ رأفة » : أشفق عليه من أن يحل به مكروه .. والرأفة أبلغ من الرحمة .. و« الرأفة من الله » : دفع السُّوء عن العبد وكشف الضُّر برفق ولطف .. والرأفة عامة إذ يقول تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (٦) .. وقد رُوِىَ أن الإمام « أحمد بن حنبل » بلغه أن رَجُلاً وراء النَّهر يروى أحاديث ثلاثية (٧) ، فرحل الإمام إليه ، فلما ورد عليه ، وجده يُطْعِمُ كَلْبًا ، فَسَلَّم عليه الإمام ، فَرَدَّ عليه السَّلام ، ثم اشتغل بإطعام الكلب و لم يلتفت إليه ، فلما انتهى من إطعام الكلب التفت إلى الإمام وقال : لَعَلَّكَ وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ إِذْ أَقْبَلْتُ عَلَى الكَلْبِ ولَمْ أُقبلُ عَلَيْك ؟ قال : نعم ، فقال الرجل : حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة (رضي الله عنه) أن النبى (ﷺ) قال : (مَنْ قَطَعَ رَجَاءَ مَن ارتجاه قَطَعَ اللهُ رَجَاءَه

(١) سورة آل عمران آية ١٣٤ . (٢) سورة النساء آية ٩٩ . (٣) سورة الحج آية ٦٠ .
(٤) سورة الشورى آية ٢٥ . (٥) رواه ابن ماجه كتاب الزهد . (٦) سورة البقرة آية ١٤٣ .
(٧) الذى رواه راوٍ عن راوٍ قبله عن راوٍ ثالث رواه عن رسول الله (ﷺ) .

يومَ القيامةِ فَلَمْ يَلِج الجنةَ) ، ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بــها كلاب ، وقــد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه ، فقال الإمام « أحمد » : يكفينى هــذا الحديث ، ثم رجع ..

ورأفة الله – تبارك وتعالى – ينالها الرحماءُ كما قال (ﷺ) : (إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ) [1] ، وقــال : (ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَــنْ فِــي السَّمَاءِ) [2] .. سبحان الرَّءوف الرَّحيم .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

مَالِكُ الْمُلْك

« مَالِك اسم فاعل مِنْ مَلَكَهُ يملِكُه مُلكا ، بتثليث الميم (بحركات الميم الثلاث) » : حازه وانفرد بالتصرف فيه فهو مالك ، كما فى قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ) [3] .. و« الْمِلْك » يكون فى الأعيــان المحسوسة حقيقةً ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ) [4] فهذا مِلْك حقيقىّ .. ويكون فى المعانى مجازًا ، كقوله تعالى : (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً) [5] ، وفى قوله تعالى : (إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) [6] ..

و« الْمُلْك » : مصدر بمعنى السلطان والْحُكم .. كما فى قوله تعالى : (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ) [7] ..

---

(1) رواه البخارى كتاب التوحيد . (2) رواه الترمذى كتاب البر والصلة . (3) سورة يس آية ٧١ .
(4) سورة النساء آية ٣٦ . (5) سورة الإسراء آية ٥٦ . (6) سورة النمل آية ٢٣ .
(7) سورة البقرة آية ١٠٢ .

و« الْمَلِك » : الحاكم ذو السلطان والسيادة ، كما فى قوله تعالى : (وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِى بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِى) [1] .. و« المالِكُ والْمَلِكُ والْمَلِيكُ » : من أسماء ((الله)) الحسنى ، قال تعالى : (هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ) [2] .. وقال : (عِندَ مَلِيكٍ مُّقۡتَدِرٍ) [3] .. وقال : (مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) [4] وقُرِئَتْ : (مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ) .. وقال : (قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ) [5] .. و« الملكوت » : المُلْك العظيم ، ولا يُطلق إلا على مُلْكِ ((الله)) خاصة .. قال تعالى : (أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)[6] ، وقال تعالى : (بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ)[7] .. و« مالك الملك » : هو ((الله)) الذى يتصرف فى مملكته كيف شاء ، وكما شاء ، وقتما شـاء .. إيجادًا وإبقاءً وإعدامًا وإفناءً وتدبيرًا وتصريفًا وتقديرًا .. فهو الملك والمالك والمليك ، وملكه ومملكته من خلقه وإيجاده دون شريك أو مُنَازِع ، فقد كان موجودًا والكَوْن عَدَم ، ومَنْ حَكَمَ فى ملكه فما ظَلَم ..

وكل مَلِك فى الدنيا سلطانه زائل مهما طال ، ولم يكن له أصلاً ، إذ لو دام لغيره ما انتقل إليه ، وهو صائر إلى غيره من بعده .. ومهما ملك فملكه محدود .. ويكون مَلِكًا وليس مالكًا ، فلا يملك قلوب الرَّعِيَّة ولا ممتلكات الغير ، وقد يكون مالكًا وليس ملكًا ، فهو يملك الضياع والأراضى والغابات والمساحات لكنه ليس

---

[1] سورة يوسف آية ٥٤ . [2] سورة الحشر آية ٢٣ . [3] سورة القمر آية ٥٥ .
[4] سورة الفاتحة آية ٤ . [5] سورة آل عمران آية ٢٦ . [6] سورة الأعراف آية ١٨٥ .
[7] سورة يس آية ٨٣ .

ملكًا عليها ولا متحكِّمًا فيها أو فيمن فيها .. أما مالك الملك فهو الـذى ملـك فحكم فعدل ، وهو المالك والملك والمليك يملك كل شىء ظاهرًا وباطنًا ، بالإيجاد من العدم أولاً ، وبالإبقاء ثانيًا ، وبالتدبير والتصريف ثالثًا .. وهو الحاكم الوحيد ، والسلطان كله له ، والمُلْك كله بيده ، يحكم ما يريد ، ويقضى مـا يشـاء .. لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِه .. ولا راد لقضائه .. هو الملك المطلق .. وهو المالك المطلق .. وهو مالك الملك .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ

« ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ » : هو المنفرد بصفات الجلال والكمال والعظمـة .. المختص بالإكرام والكرامة .. فكل جلال هو له .. وكل كرامة منه سبحانه .. له الجلال فى ذاته وصفاته وأسمائه .. والإكرام فيض منه على عباده وجميع مخلوقاته .. قال سبحانه : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ) [(١)] .. وهو القائـل : (وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ) [(٢)] .. و« جلَّ الشىء يَجِلُّ جلالا وجلالة » : عظم شأنه فوق كل الأشياء .. و« جلال الله » : عظمة ((الله)) وكبرياؤه واستحقاقه صـفات المدح .. و« الإكرام » : أى هو أهل لأن يُكرم عما لا يليق به مـن الشِّـرْكِ أو الوَصْفِ .. ومنه تَصْدُرُ كل كرامة لعباده ..

سبحانه .. هو ذو الجلال والإكرام بحق .. هو ((الله)) ..

(١) سورة إبراهيم آية ٣٤ .

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠ .

الْمُقْسِطُ

« قَسَطَ يَقْسِطُ » : ظَلم .. و« القُسوط » : الظلم والجور والعدول عن الحق .. و« القاسط » : الظالم الجائر ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) (١) .. و« أقسط » : عدل وأزال الظلم والجور .. وكأن الهمزة فيه للسلب والإزالة « كشكَى فأشكاه » : أى فأزال شكواه .. وأقسَطَ فهو مُقسِط ، كما فى قوله تعالى : (وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ) (٢) .. و« القِسْط » : العدل ، كما فى قوله : (قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ) (٣) .. وقوله : (وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ) (٤) أى بالعدل .. واسم التفضيل : أقسط ، كما جاء فى قوله تعالى : (ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ) (٥) ..

والقسط أيضا : الحِصَّة والنصيب ، يقال : « تقسَّطْنَا الشىء بيننا » : أى اقتسمناه بالتساوى .. و« الْقِسْطَاس (بضم القاف وبكسرها) » : الميزان ، كما فى قوله تعالى : (وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ)(٦) ..

وقال عن نفسه عز وجل : (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) (٧) .. « القائم بالقسط » : أى العادل فى حكمه الذى ينتصف للمظلوم من الظالم ، وينصر المستضعفين ويدرأ عنهم بأس الأقوياء الظالمين .. و« المقسط من أقسط » : أى عدل وأزال الظلم والجور ..

---

(١) سورة الجن آية ١٥ .
(٢) سورة الحجرات آية ٩ .
(٣) سورة الأعراف آية ٢٩ .
(٤) سورة الرحمن آية ٩ .
(٥) سورة الأحزاب آية ٥ .
(٦) سورة الشعراء آية ١٨٢ .
(٧) سورة آل عمران آية ١٨ .

ولعل من أسرار العدل الإلهى حلمه تعالى مع الظالم مع إرضاء المظلوم .. وقد يظلم المسلم – وهو لا يدرى – عن غير قصد وعمد ، وقد يظلم ثم يتوب ولا يجد سبيلا إلى رد المظلمة ، ويأتى يوم القيامة و لم يستطع أن يتحلل من مظلمة أخيه ، ويقف الاثنان : الظالم والمظلوم أمام المقسط – سبحانه وتعالى – فيُرضى المظلوم ويعفو عن الظالم .. وذلك لا يقدر عليه إلا ((الله)) المقسط الحق .. ومثاله ما رواه أنس (رضي الله عنه) عن النبى (ﷺ) فقال : بَيْنَا رَسُول الله (ﷺ) جَالس إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ فَقَالَ عُمَر : مَا أَضْحَكَك يَا رَسُول الله بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى ؟! فَقَالَ : " رَجُلان منْ أُمَّتِى جَثَيَا بَيْن يَدَيْ رَبّ الْعزَّة تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ أَحَدُهمَا : يَا رَبّ خُذْ لِي مَظْلَمَتِى منْ أَخِى ، قَالَ الله تَعَالَى : أَعْط أَخَـــاك مَظْلَمَتَهُ ، قَالَ : يَا رَبّ لَمْ يَبْقَ منْ حَسَنَاتِى شَىْء ، قَالَ : رَبّ فَلْيَحْملْ عَنِّي أَوْزَارِي – قَالَ : فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُول الله (ﷺ) بالْبُكَاءِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ ذَلكَ لَيَوْمٌ عَظيم يَوْم يَحْتَاج النَّاس إِلَى مَنْ يَتَحَمَّل عَنْهُمْ منْ أَوْزَارهمْ – فَقَالَ الله تَعَالَى للطَّالب : ارْفَعْ بَصَرك وَانْظُرْ فى الْجنَان ، فَرَفَعَ رَأْسه فَقَالَ : يَا رَبّ أَرَى مَدَائن منْ فضَّة وَقُصُورًا منْ ذَهَب مُكَلَّلَةً باللُّؤْلُؤِ لأَىِّ نَبيّ هَذَا ؟! لأَيِّ صدِّيق هَذَا ؟! لأَيِّ شَهيد هَذَا ؟! قَالَ : هَذَا لمَنْ أَعْطَى ثَمَنَه ، قَالَ : يَا رَبّ وَمَنْ يَمْلك ثَمَنه ؟! قَالَ : أَنْتَ تَمْلكهُ ، قَالَ : مَاذَا يَا رَبّ ؟! قَالَ : تَعْفُو عَنْ أَخيك ، قَالَ : يَا رَبّ فَإِنِّى قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ ، قَالَ الله تَعَالَى : خُذْ بِيَد أَخيك فَادْخُلا الْجَنَّة .. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله (ﷺ) : فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلحُوا ذَاتَ بَيْنكُمْ ، فَإِنَّ الله تَعَالَى يُصْلح بَيْن الْمُؤْمنينَ يَوْمَ الْقيَامَة .. [1]

---

[1] رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي فى مسنده .

وفى حديث قدسى يقول ((الله)) عز وجل : (إِنَّكَ إِنْ ظُلِمْتَ : تَدْعُو عَلَى آخَرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ظَلَمَكَ ، وإِنَّ آخرَ يَدْعُو عَلَيْكَ أَنَّكَ ظَلَمْتَهُ .. فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ وعَلَيْكَ ، وإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُكُمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأُوسِعُكُمَا عَفْوِى) .. [1]

سبحان الله .. سبحان العَفُوّ المقْسِط .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْجَامِعُ

« جمع الشىء يجمعه جمعًا » : لَمَّهُ وضم بعضه إلى بعض ، كما جاء فى قوله تعالى : (إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ) [2] .. و« جمع أمره » : عزم عليه وأحكمه ، كما جاء فى قوله تعالى : (فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ) [3].. و« أجمع القوم على أمر » أى اتفقوا عليه ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ) [4] .. و« اجتمع القوم » : انضم بعضهم إلى بعض : (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [5] .. و« الْجَمْعُ » : مصدر جَمَعَ ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا) [6] .. و« الأمر الجامع » : الأمر العظيم ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ)[7] .. و« الْمجْمَعُ » : اسم مكان ، كما جاء فى قوله تعالى : (لَآ أَبْرَحُ

[1] رواه الحاكم عن أنس (رضي الله عنه) .
[2] سورة آل عمران آية ١٧٣ .
[3] سورة طه آية ٦٠ .
[4] سورة يوسف آية ١٥ .
[5] سورة الإسراء آية ٨٨ .
[6] سورة الكهف آية ٩٩ .
[7] سورة النور آية ٦٢ .

حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبًا)[1] .. و« يوم الْجَمْع » : يوم القيامة ، كما جاء فى قوله تعالى : (يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِ) [2] ..

و« الجَامِعُ » : اسم فاعل ، وهو من أسماء ((الله)) الحسنى ، قال تعالى : (رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِ) [3] .. وهو سبحانه الجامع بين المتماثلات والمتباينات والمتضادات ..

فجمعه بين المتماثلات كجمعه الخلق الكثير من الناس على ظهر الأرض ، وحشره إياهم فى صعيد واحد يوم القيامة ..

وأما جمعه بين المتباينات فكجمعه فى العالم بين الكواكب والسماوات والأرض والبحار والأنهار والنبات والحيوان والحشرات والمعادن المختلفة .. وكل ذلك متباين الأشكال والأحجام والألوان والأوصاف .. وقد جمع بين المتباينات فى الشىء الواحد : كجمعه بين العظم واللحم والدم والعصب والشعر والظفر والعضل والمخ والبشرة وما إلى ذلك فى الإنسان .. وجمعه بين الجذع والساق والأوراق والثمار فى النبات ..

وأما جمعه بين المتضادات فكجمعه بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فى أجساد الأحياء .. وهى متنافرات متعاديات .. وجمعه بين الموجب والسالب فى الشحنات الكهربائية ، وكذلك فى القوى المغناطيسية ، وبين الضار والنافع .. حتى فى الهواء جمع بين الأكسجين وثانى أكسيد الكربون ..

وتفصيل جمع ((الله)) – تبارك وتعالى – لا يُعرف إلا إذا عُرِفت تفاصيل

---

[1] سورة الكهف آية ٦٠ .	[2] سورة التغابن آية ٩ .	[3] سورة آل عمران آية ٩ .

مجموعاته – سبحانه وتعالى – فى الدنيا والآخرة .. نعم لا يَعرف « الجَـامِع » إلا « الجَامِع » .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْغَنِيُّ

« غَنِىَ يَغْنَى فهو غَنِىّ » : كثر ماله .. و« غَنِىَ عن الناس » : لم يحتج إليهم .. وجمع « غنى » : أغنياء ، كما جاء فى قوله تعالى : (يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ) [1] .. و« الغَنِىُّ » يقابل الفقير ، قال تعالى : (إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا) [2] .. و« غَنِى القوم فى ديارهم » : طال مقامهم فيها ، قال تعالى : (فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ) [3] .. و« غَنِيَتِ الأرض بأهلها » : عَمَرَتْ بهم ، قال تعالى : (فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ) [4] أى كأنها لم تَعْمُر .. و« أغنى الشىءُ » : كفى وحقق النفع المرجو منه ، قال تعالى : (وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا) [5] .. وقال تعالى : (لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا) [6] .. و« أغناه الله » : جعله غنيا غير محتاج إلى غيره ، كقوله تعالى : (وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ) [7] .. وقال : (وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ) [8] .. و« استغنى » : اكتفى بما عنده و لم يحتج إلى غيره ، ومنه قوله تعالى : (وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ) [9] ..

---

(1) سورة البقرة آية ٢٧٣ . (2) سورة النساء آية ١٣٥ . (3) سورة هود الآيتان ٦٧ ، ٦٨ .
(4) سورة يونس آية ٢٤ . (5) سورة النجم آية ٢٨ . (6) سورة آل عمران آية ١٠ .
(7) سورة التوبة آية ٧٤ . (8) سورة الضحى آية ٨ . (9) سورة التغابن آية ٦ .

والغنيُّ بحق هو الله .. قال تعالى : (وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ) [1] .. وقال : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ) [2] ..

والغنى المطلق هو الذى لا تَعَلُّقَ له بغيره ، لا فى ذاته .. ولا فى صفاته .. ولا فى أفعاله .. بل يكون منـــزَّها عن العلاقة مع الأغيار .. فهو مُستَغْنٍ بذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما عداه .. ويفتقر إليه كلُّ ما عداه .. فهو لا يحتاج إلى شىء لا فى ذاته .. ولا فى صفاته .. ولا فى أفعاله .. فقد كان و لم يكن شىء غيره .. سبحانه .. هو الغنى المطلق .. هو ((الله)) ..

الْمُغْنِي

« أغناه يغنيه » : أعطاه ما يكفيه ، وقطع حاجته عن غيره .. و« الْمُغْنِى » : هو الله .. يغنى من يشاء من عباده بما شاء من أنواع الغنى ، قال تعالى : (وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) [3] وأفضلها غنى النفس .. ومن يستعفف يعفه الله .. ومن يستغن يغنه الله .. ومن يتصبر يُصبّره الله .. ومن يتحرَّ الخير يُعطه .. ومن الإغناء أن يقطع حاجتك عن الخلائق ، ولا تكون لك حاجة إلا إلى الله .. ومن أغناه الله لا يكون غنيا مطلقا ، فهو لابد محتاج إلى من يعاونه ، ومن يُعدُّ له طعامه .. ومحتاج إلى العلاج .. ومحتاج إلى الهواء حتى يتنفس .. ومحتاج إلى المأوى .. ومحتاج إلى الدفء .. ومحتاج إلى الحنان .. ومحتاج إلى الوليف .. وهو – قبل كل شىء وبعد كل شىء – محتاج إلى الْمُغْنِى – سبحانه وتعالى – الذى أغناه وكفاه ، وصدق اللهُ تعالى إذ يقول :

[1] سورة الأنعام آية ١٣٣ . [2] سورة فاطر آية ١٥ . [3] سورة الإسراء آية ٢٠ .

(وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ) [1] .. سبحانه هو « الْمُغْنِى » .. هو ((الله)) ..

الْمَانِعُ

« الْمَانِعُ » : هو الذى يدفع أسباب الهلاك والنقصان عن الأبدان والأموال والأديان .. وهو الذى يمنع الإعطاء عمن شاء .. فلا مانع لما أعطى ولا مُعطى لما منع .. فأما دفع أسباب الهلاك والنقصان ، فهو الذى يردُّ أسبابها بما يخلقه من أسباب الحفظ والصيانة .. والفرق بين المنع والحفظ أن المنع يكون بالنسبة إلى أسباب الهلاك والنقصان ، وأما الحفظ فيكون بالنسبة إلى المحفوظ .. فكل حافظ مانع ، وليس كل مانع حافظًا ، إلا إذا كان مانعًا لأسباب الهلاك مطلقًا ، حتى يحصل الحفظ نتيجة لذلك ، وهو سبحانه يعطى كل شىء ما هو فى مصلحته ، ويمنع ما هو سبب فساده وفق مشيئته .. ويغنى من يشاء بالعطاء ، ويمنع من يشاء بالابتلاء ، فهو يغنى ويفقر ، ويعطى ويمنع ، ويسعد ويشقى ، وهو المعطى وهو المانع ..

وإن من العباد من يصلح له الفقر ، ولو أغناه الله لفسد حاله ، وإن من العباد من يصلح له الغنى ، ولو أفقره الله لفسد حاله ..

وكلمة « مانع » اسم الفاعل لـ « مَنَعَ الشىء » و« مَنَعَ من الشىء » و« مَنَعَ عن الشىء » ، وصيغة المبالغة : « مَنُوع ومَنَّاع » كما فى قوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا) [2] .. وكما فى قوله تعالى : (مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ مُّرِيبٍ) [3] .. والملفت للنظر أن هاتين الصيغتين لم تردا – مطلقًا – فى وصف الله تبارك وتعالى ..

---

[1] سورة محمد آية ٣٨ . [2] سورة المعارج آية ٢١ . [3] سورة ق آية ٢٥ .

ووردت الصيغة العادية فقط « مانع » .. فى حين جاءت صيغ المبالغة فى صفات العفو والمغفرة والرحمة والرزق والرأفة والخلق .. فسبحان من غلبت رحمته غضبه .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الضَّارُّ النَّافِعُ

هذان الاسمان من الصفات الفعلية .. يدلان على تمام المقدرة .. فلا ضرّ ولا نفع ، ولا شر ولا خير إلا وهو بإرادته .. قال تعالى : (قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ) [(١)] .. ولكن الأدب فى حقه تعالى أن ينسب العبد الشر إلى نفسه وأن ينسب الخير إلى الله ، كما جاء فى قوله تعالى : (مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَ) [(٢)] .. وقد تأدب الأنبياء بذلك ، فقال الله تعالى حكاية عن « إبراهيم الخليل » : (وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ) [(٣)] .. كما حكى القرآن قول « الخضر لموسى » عن السفينة التى خرقها : (فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا) [(٤)] وواضح من السياق أن ذلك بأمر الله إذ قال : (وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِى) [(٥)] ..

ويقول الله – تبارك وتعالى – مبينًا أنه الفعال لكل شىء : (وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [(٦)] .. سبحانه وتعالى هو الذى يُقدِّر الضُّرَّ والشر لمن أراد كيف أراد .. يُفقر ويمرض .. يضل ويشقى .. وهو سبحانه يقدر الخير

---

(١) سورة النساء آية ٧٨ . (٢) سورة النساء آية ٧٩ . (٣) سورة الشعراء آية ٨٠ .
(٤) سورة الكهف آية ٧٩ . (٥) سورة الكهف آية ٨٢ . (٦) سورة يونس آية ١٠٧ .

والنفع لمن شاء كيف شاء .. يمنح الصحة والغنى والسعادة والجاه والهداية والتقوى على مقتضى حكمته ومشيئته .. فهو جلت حكمته المقدِّر لكل شيء .. الخالق لأسباب الشر والضر والخير والنفع ، والمسخر لها ابتلاءً بما شاء لمن شاء .. وهو القائل : (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [1] .. والقائل : (وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [2] .. من ذلك يتضح أن الضار النافع هو الذى يصدر منه الخير والشر ، والنفع والضر .. وكل ذلك منسوب إليه تعالى ، إما بواسطة الملائكة والإنس والجن والجمادات والمخلوقات والكائنات .. أو بغير واسطة .. فلا تظن أن العقرب أو الثعبان يقتل بسمه بنفسه .. أو الفيروسات والميكروبات تسبب الأمراض بنفسها .. أو أن الطعام يشبع وينفع بنفسه .. أو أن الجوع أو الصقيع يقتل بنفسه .. أو أن شيئًا من المخلوقات يقدر على خير أو شر أو نفع أو ضر بنفسه .. بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر عنها إلا ما سُخرت لأجله .. وما أسباب الضر والنفع إلا قلم القدرة .. فهو الفعال لما يريد .. ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد .. وهو القائل عز وجل : (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ) [3] ..

وعليه فلا يحدث فى الوجود حركة أو سكون .. موت أو حياة .. خير أو شر .. نفع أو ضر .. إيمان أو كفر .. شكر أو نكران .. زيادة أو نقصان .. طاعةٌ أو عصيان .. إلا بإرادته ، ووفق مشيئته .. فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .. سبحانه وتعالى .. هو « الضار » على الحقيقة وهو « النافع » على الحقيقة .. هو ((الله)) ..

---

[1] سورة الأنبياء آية ٣٥ . [2] سورة الأعراف آية ١٦٨ . [3] سورة الحديد آية ٢٢ .

النُّورُ

« النُّورُ » هو الظاهر فى نفسه .. الْمُظْهِرُ لغيره .. وهو من أسماء الله الحسنى ، إذ هو سبحانه الذى مد جميع المخلوقات ، بالأنوار الحسية والمعنوية .. فهو نور كل ظلمة .. ومُظهر كل خفاء .. وهو منوِّرُ السماوات والأرض .. ومُضىء الأكوان بالشموس والنجوم والأقمار .. وهو الذى أنار قلوب المؤمنين بتوحيده .. وأنار طريق معرفته لأصفيائه وأوليائه .. وهو الظاهر فى نفسه بوجوده الذى لا يقبل العدم .. المظهر لغيره بإخراجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود .. وقد كان الوجود عدمًا .. ولا ظلام أظلم من العدم .. فواجب الوجود الذى لم يسبق وجودَه عدم ، ويستحيل أن يتطرق إليه العدم .. هو النور المطلق ، والمخرج لكل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود .. ومنورها بوجودها .. هو النور المطلق ولا وجود إلا وهو مُسْتَمَد من وجوده .. ولا نور إلا وهو مُسْتَمَد من نوره .. يقول الله تعالى : (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)[1] .. ويقول تعالى : (ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ)[2] .. ويقول تعالى : (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ)[3] ..

[1] سورة النور آية ٣٥ . [2] سورة البقرة آية ٢٥٧ . [3] سورة الأنعام آية ١٢٢ .

ويقول : (قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ) [1] .. ويقول : (تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا) [2] ..

فهو – سبحانه وتعالى – النور المطلق .. وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحاتُ وجهه – عز وجل – ما انتهى إليه بصره من خلقه .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْهَادِي

الهداية لغة : هى الدلالة بلطف على ما يُوصِل إلى المطلوب .. والهداية أنواع :

أولا : هداية الوجدان الطبيعى والإلهام الفطرى التى تجعل الطفل يلتقم ثدى الأم .. وتجعل الفرخ ينقر بيضه ليخرج فى الوقت المناسب .. وتجعل الطفل يبكى طالبا الغذاء أو التنظيف .. وتجعل الحيوانات حين تلد تنظف وليدها وترضعه .. يقول الله تعالى : (وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ) [3] ..

ثانيا : هداية الحواس والمشاعر وهى متمِّمة للهداية الأولى .. وتكون فى الحيوان أتم وأكمل منها فى الإنسان إذ تبدأ عنده مبكرةً أى عقب الولادة أو الخروج من البيض بقليل بالإضافة إلى قوتها كحاسة الشم عند الكلاب .. وحاسة السمع عند القطط .. وحاسة البصر عند الصقور والنسور ... وهكذا .. يقول الله تعالى : (ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ) [4] ..

---

(1) سورة المائدة آية ١٥ .
(2) سورة الفرقان آية ٦١ .
(3) سورة الأعلى آية ٣ .
(4) سورة طه آية ٥٠ .

ثالثا : هداية العقل وهى فى الإنسان دون سائر المخلوقات ، التى تكفيها هداية الحواس والمشاعر والإلهام لتكوّن حياتها وممالكها ومجتمعاتها ، كتأسيس ممالك النمل والنحل ، وهجرة الأسماك والطيور - كل ذلك بالحس والإلهام - وهى بالقوة الكافية لقيام حياتها كما هو مشاهد ..

أما الإنسان فقد حباه الله هداية هى أعلى من هداية الحس والإلهام ، وهى هداية العقل الذى يصحح خطأ الحواس ويبين أسبابه .. فإذا رأى بعينيه الكبير - على البعد - صغيرًا ، ورأى العود المستقيم فى الماء معوجًا ، صحح له العقل ذلك وأعلمه أن المسافات تؤثر فى تقدير حجم الأشياء ، وأن انكسار الضوء سبب اعوجاج العود المستقيم فى الماء ، وأن ما يراه فى المرآة هو انعكاس لصورته وليس شخصًا آخر .. والعقل هو الذى يمكِّنه من الاختيار بين البدائل ، وعليه أن يُعْمِله فى ما يراه ويشاهده من مظاهر الكون وظواهر الأشياء ، ليتمكن من تسخيرها للحصول على حياة أفضل وأرقى .. يقول الله تعالى : (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ)[1] ..

رابعًا : هداية الدين والرسل إذ إن العقل الإنسانى لا يدل على الأمور الغيبية .. فإن دل العقل على وجود قوة مسيطرة على الكون أو موجدة للكائنات متحكمة فى الحادثات فقد يضل فيتوهم أنها الشمس أو الكواكب ، أو أن هناك آلهة متعددة .. والناس فى حظوظهم من العقل متفاوتون ، وفى تقديرهم الحق مختلفون ، وفيما غاب عن حواسهم متحيرون .. لذلك كان العقل قاصرًا عن الوصول إلى معرفة الله ..

(1) سورة طه آية ١٢٨ .

ومن أجل ذلك أوجب ((الله)) تعالى على العباد معرفته وطاعته بالشرع والنقل ، وليس بالفكر والعقل .. قال سبحانه : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً) [1] .. وقال : (ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ) [2] ..

لذلك أرسل ((الله)) الرسل ، وأيدهم بالمعجزات للدلالة على صدقهم ، وأنزل الكتب مُحْكِمًا فيها الآيات ليبين للناس طريق نجاتـــهم .. فبهداية الدين تُعلم الطاعات ، ويُعلم الحرام من الحلال ، وتُعلم الأمور الغيبية كسؤال القبر ، وكالميزان ، والقيامة ، والصراط ، والجنة ، والنار ، والملائكة ، والجن ، والشياطين ، وتُعرف صفات الله – تبارك وتعالى – وأسماؤه وكيفية دعائه .. يقول الله تعالى : (ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [3] .. (وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [4] .. (أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ) [5] ..

خامسًا : الهداية الخاصة .. أو هدى الله .. وهى هدايته للرسل والأنبياء والأولياء والأصفياء والعلماء والذين أنعم ((الله)) عليهم فأخذ بأيديهم ونواصيهم إلى الحق .. يقول الله تعالى : (وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا) [6] .. (لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ) [7] .. (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ) [8] .. (وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ)[9] .. (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ)[10] .. (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا)[11] ..

---

(1) سورة الإسراء آية ١٥ .
(2) سورة الأنعام آية ١٣١ .
(3) سورة البقرة آية ٢ .
(4) سورة الشورى آية ٥٢ .
(5) سورة يونس آية ٣٥ .
(6) سورة السجدة آية ١٣ .
(7) سورة البقرة آية ٢٧٢ .
(8) سورة القصص آية ٥٦ .
(9) سورة سبأ آية ٥٠ .
(10) سورة الأنعام آية ٩٠ .
(11) سورة الفرقان آية ٣١ .

وهداية الله أخص من هداية الرسل والدين ، فهداية الرسل بمعنى الدلالة وهى بمنـــزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين : المهلك والمنجى ، وبيان ما يؤدى إلى كل منهما ونتيجة السير فى كل منهما .. فإما جنة ، وإما نار ، ثم تَرْك الخيار له .. أما هداية الله فهى اصطفاء واختيار .. وإنعام وإحسان .. وقد علمنا الله – فى مفتتح كتابه الكريم – أن نسأله إياها فنطلبها منه فى كل صلاة وقيام ، وذلك فى قوله تعالى : (ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ) [1] ..

هذا .. وجميع أنواع الهداية التى تم ذكرها هى من فضل الله وإحسانه .. فهو سبحانه وتعالى « الهادى » .. هو ((الله)) ..

الْبَدِيعُ

« بَدَعَ الشىءَ يَبْدَعُهُ بَدْعًا » : أنشأه على غير مثال سابق فهو بديع .. و« بَدُعَ الشىءُ » : صار كاملا فى صفته فهو بديع .. و« بديع » : يصلح للفاعل والمفعول ، مثل قوله تعالى : (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ) [2] أى مبدعهما ومنشئهما على غير مثال سابق ، وقوله : (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ) أى البديع الوحيد الموجود قبل أى وجود ، كقوله : (هُوَ ٱلۡأَوَّلُ) [3] .. و« بِدْعٌ » : أى بديع أو عجيب ، يقال : « فلان بِدْعٌ فى الأمر » : أى أول من فعله ، كما جاء فى قوله تعالى : (قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ)[4] أى

[1] سورة الفاتحة الآيتان ٦ ، ٧ . [2] سورة الأنعام آية ١٠١ . [3] سورة الحديد آية ٣ .
[4] سورة الأحقاف آية ٩ .

ما كنت غريبًا ولا عجيبًا ولا أول من قال هذا الكلام ..

و« ابتدع الأمر » بمعنى « بَدَعه » .. قال تعالى : (وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ)[1] أى اخترعوها من تلقاء أنفسهم ، و لم يفرضها الله عليهم .. وعليه « فالبديع » تعنى الذى أبدع صور المخلوقات ، وفطرها على غير مثال سبق .. كما تعنى : الذى ليس كمثله شىء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله .. و« البديع » المطلق أزلا وأبدًا .. المبدع لخلقه .. المظهر لعجائب صنعته .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

الْبَاقِي

« بَقِىَ بَقَاءً » : ضد « فَنِى » .. و« بَاقٍ » : اسم فاعل ، قال تعالى : (وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ)[2] .. وقال : (مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ)[3] .. وقال : (فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ)[4] .. و« البقيّة » : ما بقى من الشىء أو ما استحق البقاء لما فيه من النفع والخير للناس ، قال تعالى : (بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)[5] .. و« أولو البقية » : أصحاب الفضل الباقى والخير الثابت والنظر فى العواقب ، قال تعالى : (فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡ)[6] ..

---

[1] سورة الحديد آية ٢٧ .
[2] سورة الرحمن آية ٢٧ .
[3] سورة النحل آية ٩٦ .
[4] سورة الحاقة آية ٨ .
[5] سورة هود آية ٨٦ .
[6] سورة هود آية ١١٦ .

وجمع « بقيّة » : بقيات ، وجمع « باقية » : باقيات ، قال تعالى : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[1] .. وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[2] أى كلمة التوحيد تبقى على الألسن تتوارثها الأجيال .. و« أبقاه » ضد « أفناه » ، قال تعالى : ﴿ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾[3] .. و« أبقى » اسم تفضيل ، قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴾[4] .. والباقى المطلق هو الدائم الوجود ، فلا يناله فناء ولا يجوز عليه العدم ، فلا انصرام لوجوده ، ولا انقطاع لبقائه ..

وهو الموجود الواجب وجوده .. ولكن إذا أضيف فى الذهن إلى الاستقبال سُمى « باقيًا » وإذا أضيف فى الذهن إلى الماضى سُمى « قديمًا » ..

والباقى المطلق هو الذى لا ينتهى تقدير وجوده فى الاستقبال إلى آخرٍ ، ويُعبَّر عنه « بالأبدى » .. والقديم المطلق هو الذى لا ينتهى تمادى وجوده فى الماضى إلى أول ، ويُعبَّر عنه « بالأزلى » .. وكلمة واجب الوجود بذاته تتضمن ذلك كله .. إنما هذه الأسماء هى بحسب إضافة الوجود فى الذهن إلى الماضى والمستقبل .. وإنما يدخل فى الماضى والمستقبل المتغيرات .. لأن الماضى والمستقبل كلمتان يعبر بهما عن الزمان ، ولا يدخل فى الزمان إلا التغيّر والحركة إذ إن الحركة تنقسم بذاتها إلى ماض وحاضر ومستقبل .. كما أن التغير يُدخل المتغيِّرَ فى الزمان بالتغيير .. فما جل عن التغيّر والحركة فليس فى زمان ، وليس فيه ماض ولا مستقبل ..

---

(1) سورة الكهف آية ٤٦ . (2) سورة الزخرف آية ٢٨ . (3) سورة النجم آية ٥١ .
(4) سورة طه آية ٧١ .

وقد كان – سبحانه – قبل الزمان .. وهو خالق الزمان .. وليس للزمان عليه جَرَيَان .. فهو الأول والآخر .. والقديم والباقى .. سبحانه وتعالى .. هو « الباقى » بحق .. هو ((الله)) ..

الْوَارِثُ

« الْوَارِثُ » : هو الذى تَرْجعُ إليه الأملاك بعد فناء الْمُلاّك .. وذلك هو ((الله)) سبحانه وتعالى ، إذ هو الباقى بعد فناء خلقه ، وإليه مرجع كل شىء ومصيره .. وهو القائل سبحانه : (إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا)[1] .. وهو القائل : (وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ)[2] .. وهو القائل : (وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ)[3] ..

فهو الوارث لكل الأشياء بعد فناء أهلها ، وهو القائل حينذاك : (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ)[4] وهو المجيب : (لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ)[5] فتسقط دعاوَى الخلق .. إذ كان الأكثرون يحسبون ويظنون فى الدنيا أن لهم فيها مُلْكًا .. فتنكشف لهم حقيقة الأمر فى ذلك اليوم أن المالك الحق وبحق هو ((الله)) ..

أما أرباب البصائر فهم مدركون أن الْمُلْك ((لله)) وحده أبدًا وأزلا .. وأنه لا مِلْكَ ولا مُلْكَ لأحد .. وأن المنفرد بالفعل فى الملك والملكوت هو ((الله)) .. وهو « الْوَارِث » الحق .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة مريم آية ٤٠ . (2) سورة الحجر آية ٢٣ . (3) سورة الأنبياء آية ٨٩ .

(4) سورة غافر آية ١٦ . (5) سورة غافر آية ١٦ .

الرَّشِيدُ

« الرَّشِيدُ » : هو المرشد لعباده ، والذى تَجرِى تدابيره لغايتها على سَنَنِ السداد بلا استشارة ولا إرشاد .. هو المتصف بكمال الكمال .. عظيم الحكمة بالغ الرشاد .. الذى تتجه تدبيراته إلى غاية الصواب والسداد .. وهو الذى يرشد الخلق ويهديهم إلى ما فيه صلاحهم ، ويوجههم بحكمته إلى ما فيه خيرهم ورشادهم فى دنياهم وآخرتهم .. والفعل « رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْدًا ورَشَادًا » : أصاب وجه الصواب والخير والحق ..

و« الرَّشَدُ » : ضد الغىّ والضلال .. و« الرُّشْدُ » : ضد السَّفَه وسوءِ التدبير .. و« بلغ رُشْدَهُ » : أى بلغ كمال عقله وحسن تصريفه للأمور ، كما جاء فى قوله تعالى : (فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ) [1] .. وفى قوله تعالى : (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ) [2] .. وفى قوله : (قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ) [3] .. و« المرشد » : الهادى إلى الحق وإلى الخير ، قال تعالى : (وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا) [4] ..

سبحان الْمُرْشد لما فيه الخير والفلاح .. سبحان « الرَّشِيد » .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة النساء آية ٦ .
(2) سورة الأنبياء آية ٥١ .
(3) سورة البقرة آية ٢٥٦ .
(4) سورة الكهف آية ١٧ .

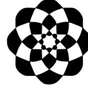
الصَّبُورُ

« الصَّبْر » : حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع .. وهذا صبر على الطاعة .. و« الصَّبْر » : حبس النفس عما يمنعه العقل والشرع .. وهذا صبر عن المعصية .. و« صَبَر يَصْبر » : فعل متعدٍ ولازم ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ) [1] .. (وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) [2] .. و« اصْطَبَر » : يفيد زيادة تحمل ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [3] .. و« الصَّابر » : اسم فاعل ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ)[4].. وصيغة المبالغة : « صبَّار » ، كما جاء فى قوله تعالى : (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) [5].. و« المصابرة » : مفاعلة أى مغالبة غيره فى الصبر ، كما جاء فى قوله تعالى : (ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ)[6] .. و« الصبور » : مُلهم الصبر لجميع خلقه ، الصابر على ما لا يرضاه منهم ، فلا تَسْتَفِزُّهُ المعاصى ، ولا يعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه .. و« الصبور » أيضا هو الذى لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه ، بل يُنـزل الأمورَ بقدر معلوم ، ولا يقدمها على أوقاتها ، ويأتى بها على الوجه الذى يجب أن يكون ، وكل ذلك من غير معاناة أو معارض يعترض إرادته ، أو يثنيه عن عزمه .. وهذا لا يكون إلا ((لله)) سبحانه وتعالى .. أما صبر العبد ففيه المعاناة والمضادة بين داعى العقل والدين ، وداعى الغضب والشهوة ..

---

(1) سورة الكهف آية ٢٨ .
(2) سورة الطور آية ٤٨ .
(3) سورة طه آية ١٣٢ .
(4) سورة البقرة آية ١٥٥ .
(5) سورة إبراهيم آية ٥ .
(6) سورة آل عمران آية ٢٠٠ .

وصدق رسول الله (ﷺ) إذ يقول : (لَيْسَ أَحَدٌ – أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ – أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا ، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) [1] .. سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا .. سبحان الله الصبور المطلق .. هو ((الله)) ..



[1] رواه البخاري كتاب الأدب .

عَدَدُ الأسْمَاءِ الْحُسْنَى

أيها القارئ الكريم ، اعلم أن أسماء ((الله)) تعالى كثيرة ، فمنهم من قال إنــها ثلاثمائة ، ومنهم من قال إنــها ألف وواحد ، وقيل مائة وأربعة وعشرون ألفًا علــى عدد الأنبياء ، وقيل ليس لها حد ولا نــهاية .. وأرجح الأقوال وأصحها ما ورد فى حديث « أبي عيسى الترمذى » عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ..

وهذه الأسماء وردت فى حديث « الترمذى » على النحو والترتيب الــذى ذكرناه لك - والحمد لله - منها ما ورد فى القرآن ، ومنها ما لم يرد فيه كوصف لله .. كما أن فى القرآن أسماء لم ترد فى الحديث مثل : (الْمُحِيط .. الْقَــدِير .. الشَّاكِر .. النَّصِير .. الْمَوْلَى .. الْمَلِيك .. الأَحَد .. الْمُبِين .. الْقَائِمُ بِالْقِسْط .. الْكَافِى) .. ومن هذه الأسماء ما هو مضاف مثل : (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ .. شَدِيدُ الْعِقَاب .. سَرِيعُ الْحِسَاب .. ذُو الطَّوْلِ .. قَابِلُ التَّوْبِ .. غَافِرُ الذَّنْبِ .. رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ .. رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ .. مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) ..

ولو جاز الاشتقاق فى الأفعال مثل : (يَكْشِفُ السُّوءَ .. يَقْذِفُ بِالْحَقِّ .. يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ .. وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيل) ، فاشتُق منها : (الكاشف ، والقاذف بــالحق ، والفاصل ، والقاضى) لزادت الأسماء زيادة كبيرة تخرجها عن الحصر ، ولكن هــذا الاشتقاق غير جائز ، وعليه وجب التَّقَيُّد بما ورد فى الصحيحين : (إِنَّ لِلَّــهِ تِسْــعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إلا وَاحِدًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ..

أما الأسماء التسعة والتسعون بنصها فلم ترد فى الصحيحين وإنمــا وردت فى

حديث « الترمذى » وهو أرجح الأقوال على الإطلاق ..

لكن مما لا شك فيه أن ((لله)) أسماء أخرى عَلِمَهَا مَنْ علمها ، و لم يعلمها الأكثرون .. ومنها ما اختص ((الله)) به نفسه .. والدليل على ذلك دعاء النبى (ﷺ) المشهور : (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي) [1] ..

وعليه فالواجب أن نقتصر على الأسماء التى وردت فى حديث « الترمذى » ، ولا نؤلف أسماءً لم يرد بها نص مثل : المهندس الأعظم ، أو نتلقف أسماءً من البعض بلغة لا نفهمها – تحت دعوى أنها من أدعية بعض الشيوخ – وما إلى ذلك ..

وهنا لابد لنا من وقفة توضح أمرًا – غاية فى الأهمية – ألا وهو :

أَفْعَالُ اللهِ

أفعال ((الله)) تبارك وتعالى لا تُعلَّل بالأغراض ، ولكنها تُنَزَّهُ عن العبث ، ويستحيل أن تخلو من الحكمة .. وإن خفى شىء من حكمتها على الأريب فهذا لا يعنى عدمها .. وقدرة العقل البشرى محدودة ، وغاية ما ينتهى إليه كماله هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التى تقع تحت الإدراك الإنسانى حسًّا ، أو وُجدانًا ،

---

[1] رواه أحمد مسند المكثرين من الصحابة .

أو عقلا .. والإحاطة ببعض القواعد التى تحكم آثارها ، كأحكـــام الجاذبيـــة ، والكهرباء ، والضوء ولنأخذه كمثال : فللضوء قوانين وأحكام كثيرة ، وله علم خاص به وعلماء متخصصون .. ولكن لا يستطيع أحد أن يدعى أنه يفهم ما هـــو ، ولا أن يكْتَنِه معنى الإضاءة نفسه .. وكل ما هنالك أنـــهم يسمونه « جســيمات » تـــارة و« موجات » تارة .. « فالجسيمات » أشياء مادية يسمونـــها « فوتونات » ، وأما « الموجات » فهى ليست جسمية .. وإنما هى « موجات » ضوئية .. مما اضـــطر العلماء حديثًا أن يطلقوا على الضوء صفة ازدواج الشخصية لجمعه بين الوصفين ..

ومن رحمة ((الله)) بالخلق أنه لم يجعل لهم حاجة تدعو إلى اكتناه شيء مـــن الكائنات ، أى إلى معرفة كنهه ، وإنما جَعَل حاجتهم فقط إلى معرفـــة الخـــواص والعوارض والآثار ، كالدفء والحرارة بالنسبة إلى الشمس ، والنور إلى القمـــر ، وكخواص الجاذبية ، والكهرباء ، والطفو ... وما إلى ذلك .. وما تصل إليه العلوم من معرفة بعض كنه الشيء كالماء مثلا ، وأنه مكون من ذرتى « أيـــدروجين » ، وذرة « أكسجين » فذلك قريب من معرفة كنه المـــاء ، أمـــا معرفـــة كُنـــه ذرة « الأيدروجين » فهو محال .. فالعلوم والمعارف يمنحها ((الله)) بقدر الاحتياج إليها فقط ، وليس للعقل البشرى أن يجاوز حدوده وقدرته .. وعلى هذا يجب النظـــر إلى المصنوعات لننفذ منها إلى معرفة وجود الصانع وصفاته الكمالية ، أما كيفية اتصـــافه بـــها فليس للعقل مجال فى ذلك ولا يجوز الخوض فيه ..

ولابد من العلم بأن أفعال ((الله)) لا تجب عليه ، وأن كل أفعاله صادرة عـــن علم وإرادة ، وكل ما صدر عن علم وإرادة فهو عن اختيار ، ولا شيء مما يصدر عن المختار بواجب على المختار لذاته .. فهو سبحانه لا يجب عليه شيء مطلقًا ..

وعلى ذلك يجب العلم بأن صفات ((الله)) قسمان :

١- صفات ذاتية : لا تنفك عن الذات بل هى لازمة لها أزلا وأبدًا ولا تتعلق بها مشيئته - تعالى - وقدرته : كصفات الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والعظمة والكبرياء والمجد والجلال ..

٢- صفات فعلية : تتعلق بها مشيئته وقدرته فى كل وقت وحين ، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال ، وإن كان هو لم يزل موصوفًا بها .. بمعنى أن نوعها قديم ، وأفرادها حادثة ، فهو سبحانه لم يزل فعالا لما يريد .. يخلق ويدبر الأمور ، وأفعاله تقع شيئًا فشيئًا ، تبعًا لحكمته وإرادته ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

قال تعالى : (وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ) [1] .. سبحانه .. هو ((الله)) كما وصف نفسه فى كتابه ، وكما وصفه رسولُه (ﷺ) فى أحاديثه الشريفة ..

والإلحاد فى أسمائه - عز وجل - هو العدول بها وبحقيقتها ومعانيها عن الحق الثابت لها : أى الميل بها عن المراد : بالتحريف .. أو التعطيل .. أو التكييف .. أو التمثيل .. إذ لا يعرف ((الله)) على الحقيقة إلا ((الله)) ..

[1] سورة الأعراف آية ١٨٠ .

التحريف : مأخوذ من قولهم : « حَرَّفْتُ الشيء عن وجهه تحريفًا » أى أملته وغيّرته .. و« تحريف الكلام » : إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ .. وعليه فكل تفسير لأسماء الله وصفاته بمعانٍ لا تدل عليها الألفاظ الواردة فى النصوص يُعتبر تحريفًا للمعانى ..

التعطيل : مأخوذ من « العُطْل » وهو الفراغ والخلو والترك ، كما فى قوله تعالى : (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ)[1] أى أهملها أهلها وتركوها .. و« التعطيل فى الصفات الإلهية » معناه : نفى هذه الصفات ، أو إنكار قيامها بذات الله ، أو القول بأن ظاهرها غير مراد مع عدم تعيين معنى آخر ، كل ذلك يُعتبر تعطيلا للصفات ..

التكييف : هو الاعتقاد بأن صفات الله تعالى على كيفية « معيّنة » أو يُسأل عنها بكلمة كيف ، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه وتعالى ..

التمثيل : هو الاعتقاد بأن الصفات تماثل صفات المخلوقين .. وقول الحق جل وعلا : (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) [2] هى الأساس والْحَكَم فى باب الصفات .. فإنها جمعت بين النفى والإثبات ، فهى تنفى الْمِثْلَ وتثبت صفتى السَّمع والبصر ، وعليه فالواجب عدم نفى الصفات مطلقًا ولا إثباتها مطلقًا ، ولكن الواجب إثباتها بغير تمثيل .. والكلام فى ذات الله من حيث إثبات الوجود مطلوب ، أما من حيث كنه الذات فممنوع .. أى إثبات وجود وليس إثبات تكييف .. فكذلك الكلام فى الصفات يجب أن يكون من حيث إثبات الصفات دون تكييف .. أى عدم البحث فى كيفية الصفة وكيفية اتصاف الذات بها .. وقد

---

[1] سورة الحج آية ٤٥ .
[2] سورة الشورى آية ١١ .

قال بعض السلف عن الصفات : (تُمَر كما جاءت بــلا تأويـــل) ورأى بعـــض المتأخرين من الأئمة والعلماء النهى عن الكلام فى حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته .. ولكن يتكلمون فى معانى الألفاظ ومدلولاتـــها .. وقد قال الإمام « أحمد بن حنبل » : (لا يُوصَفُ اللهُ إلا بما وَصَفَ به نَفْسَه أو وَصَفَه به رَسُولُه ﷺ) .. أى (دون مجـــاوزة القرآن والحديث) .. وقال « نُعيم بن حماد » شيخ « البخارى » : (من شـــبه الله بخلقه كَفَر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه كَفَر) ..

الْمُتَشَابِهَاتُ مِنْ آيَاتِ الصِّفَات

آيات الصفات فى القرآن اعتبرها السلف من المتشابـــهات أمثال قوله تعالى : (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) [١] .. (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [٢] .. (وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ) [٣] .. (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ) [٤] .. (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ) [٥] .. وكذلك أحاديث الصفات أمثال : (ضَحِكَ اللهُ – عَجِبَ اللهُ – فَرِحَ اللهُ – يَنْـــزِلُ اللهُ) وقالوا فى شأنـــها ومعهم الأئمة الأربعة و« سفيان الثورى » و« ابن المبارك » و« ابن عُيينة » و« وكيع » : (إنه يجب الإيمان بـــها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تبارك وتعالى وترك تأويلها .. مع تنـــزيهه سبحانه عن حقيقتها ، لاستحالة مشابـــهته تعالى للحوادث) .. وذلك جريًا على ما ورد من قول أم المؤمنين « أم سلمـــة » (رضى الله عنها) فى تفسير قوله تعالى : (ٱلرَّحۡمَٰنُ

(١) سورة طه آية ٥ .
(٢) سورة القصص آية ٨٨ .
(٣) سورة طه آية ٣٩ .
(٤) سورة الفتح آية ١٠ .
(٥) سورة الزمر آية ٦٧ .

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) [1] إذ قالت : (الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر) ..

وكذلك قول الإمام « مالك » – إمام دار الهجرة – فى تفسير الآية نفسها إذ قال : (الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة) ..

وقال « محمد بن الحسن » : (اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه) ..

وقال كثير من العلماء : (إن علينا أن نتبع سلف الأمة فإنــــهم درجوا على ترك التَّعَرُّضِ لِمعانيها ، ومنهم الإمام « ابن تيمية » و« ابن القيم » وكثير من أئمة التفسير : « كالبغوى » و« الرَّازِى » و« الجلالين » و« الألوسى » .. وقال الإمام « الرازى » : (إن الذى اختاره الأئمة المحققون من السلف والخلف ترك الخوض فى تعيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال) ..

وذهب طائفة أخرى من أهل السنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة فى الصفات بما يليق بجلاله – تعالى – مع تنـــزيهه عن حقيقتها ، وهو مذهب « الخلف » ..

ولكن هناك متأخرين دأبوا على الصراع والاختلاف ، حتى وصل الأمــــر إلى تكفير بعضهم بعضًا ، وهذا من الفتن التى نعوذ بالله منها ، ونسأله أن يهـــدينا لمـــا اختُلف فيه من الحق بإذنه .. إنه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ..

---

[1] سورة طه آية ٥ .

فمثلا .. فى القرآن أفعال منسوبة إلى الله – تبارك وتعالى – مثل : (رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ – غَضِبَ اللهُ عليه – لَعَنَهُ اللهُ – اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ الله – المقْت – الأَسف) .

قال بعضهم : هذه صفات حقيقية ((لله)) – عز وجل – على ما يليق به ، ولا تشبه ما يتصف به المخلوق من ذلك .. ولا يلزم منها ما يلزم فى المخلوق .. وقال البعض الآخر : هذه ليست صفات ((لله)) ولا يصح أن يوصف بها ، ولا يمكن أن تشتق منها أسماء ، وإنما هى أفعال يراد لازمها ، ولا يراد ظاهرها ، وكلها تخضع للإرادة أو تتعلق بها .. فالرضى إرادة الثواب ، والغضب والسخط إرادة العقاب ..

مثال آخر وهو الآيات التى يُنسب فيها المجىء والإتيان إلى ((الله)) مثل : (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) [1] .. (هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ) [2] ..

الفريق الأول ، قال : (فى هذه الآيات إثبات صفتين من صفات الفعل له سبحانه ، وهما صفتا الإتيان والمجىء .. ومن السنة الإيمان بذلك على حقيقته والابتعاد عن التأويل الذى هو فى الحقيقة إلحاد وتعطيل) ..

الفريق الثانى ، قال : (المعنى أن ((الله)) يأتى بعذاب فى الغمام الذى يُنتظر منه الرحمة) فيكون مجىء العذاب من حيث تُنتظر الرحمة أفظع وأهول ، كما حدث مع عاد .. قال الله تعالى : (فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضًا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) [3] .. وقد روت

---

[1] سورة الفجر آية ٢٢ . [2] سورة البقرة آية ٢١٠ . [3] سورة الأحقاف آية ٢٤ .

السيدة « عائشة » (رضى الله عنها) فقالت : (كَانَ النَّبِيُّ (ﷺ) إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ، فَإِذَا أَمْطَرَت السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ .. فَعَرَّفَتْهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ) : مَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ : "فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ") [1] ..

ورد الفريق الأول بقولهم : إن الآيات صريحة فى بابها لا تقبل شيئًا من تلك التأويلات .. لأن الآية تتوعد الكفار بأنهم ما ينتظرون إلا أن يأتيهم ((الله)) فى ظلل من الغمام لفصل القضاء بينهم يوم القيامة ، ولذلك قال فى آخر الآية : (وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ) [2] والآية التى يقول فيها الله : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) [3] أشد تصريحًا إذ لا يمكن تأويل الإتيان فيها بأنه إتيان الأمر أو العذاب ، لأنه ردد بين إتيان الملائكة ، وإتيان الرب ، وإتيان بعض آيات الرب ..

وقوله فى الآية الأولى : (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) [4] لا يمكن حملها على مجيء العذاب ، لأن المراد مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء ، والملائكة صفوف إجلالاً وتعظيمًا له .. وعند مجيئه تنشق السماء بالغمام .. وهو سبحانه يجيء ويأتى وينزل ويدنو وهو فوق عرشه بائن عن خلقه .. فهذه كلها أفعال له سبحانه على الحقيقة ..

---

[1] رواه البخارى كتاب بدء الخلق .. و« الْمَخِيلَة » : السحابة التى يُظن فيها المطر .. و« التسرية » : الكشف والإزالة ..

[2] سورة البقرة آية ٢١٠ . [3] سورة الأنعام آية ١٥٨ . [4] سورة الفجر آية ٢٢ .

ودعوى المجاز تعطيل له عن فعله .. واعتقاد أن ذلك المجيء والإتيان من جنس مجيء المخلوقين وإتيانـــهم ، نزوع إلى التشبيه والتمثيل ..

• صفة الوجه :

أهى ثابتة لله ، أم تؤول بمعنى الجهة والذات ؟

قال تعـــالى : (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) [1] .. (كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ) [2] ..

قال الفريق الأول : تضمنت هاتان الآيتان إثبات صفة الوجه لله وهى صفة غير الذات ، ولا يقتضى إثباتـــها كونه تعالى مركبًا من أعضاء .. بل هى صفة ((لله)) على ما يليق به فلا يشبه وجهُه وجهًا ، ولا يشبهه وجهٌ ..

وبما أنه قد أضاف الوجه فى الآية إلى الذات ، وأضاف النعت إلى الوجه فإن فى ذلك دليلا على أن ذكر الوجه ليس بِصلَةٍ للذات ، وأن قوله : (ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ) صفة للوجه ، والوجه صفة للذات .. كما لا يمكن تأويل الوجه بالذات أو بغيرها فى مثـــل قوله عليه الصلاة والسلام : (أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِى أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَـــاتُ) [3] ، وقوله : (حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ) [4] .. والآية الثانية أسندت البقاء إلى الوجه ويلزم منه بقاء الذات ، ولـــو لم يكن له وجه على الحقيقة لما جاز استعمال هذا اللفظ فى معنى الذات .. فإن اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن أن يستعمل فى معنى آخر ، إلا إذا كان المعنى الأصلى ثابتـــا

---

[1] سورة الرحمن آية ٢٧ . [2] سورة القصص آية ٨٨ . [3] سيرة ابن هشام .
[4] رواه مسلم كتاب الإيمان .

بالموصوف حتى يمكن للذهن أن ينتقل من الملزوم إلا لازمه ..

قال الفريق الثانى : (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ) أى ويبقى ((الله)) .. فالوجه عبارة عن وجوده وذاته – سبحانه – وزعموا أن ابن عباس قال : (الوجه عبارة عنه) .. والدليل على ذلك أن الموصوف بالبقاء هو الله تبارك وتعالى ، واسم « الباقى » من ضمن أسمائه الحسنى ..

وهو سبحانه الذى يبقى وجوده بعد تعرض الخلق للفناء .. ويستخدم التعبير بالوجه فى اللغة العربية فيقال : « هذا وجه الأمر ، ووجه الصواب » كما يقال : « عين الحق ، وعين الصواب » ..

وقال بعضهم : المعنى أن تبقى الجهة التى يُتَقرب بها إلى الله ، أى ما كان لله خالصا لا يفنى بل يبقى ، كما جاء فى قوله تعالى : (وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) [1] ، وكقوله تعالى : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ) [2] أى لرضائه وطلب ثوابه ، ومنه قول النبى (ﷺ) : (مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ) [3] .. والتعبير بكلمة « الوجه » من مجاز الكلام .. وقول الله يوم القيامة لملائكته : (لا أَقْبَلُ مِن العَمَلِ إلاَّ مَا ابتغِىَ بِهِ وَجْهِى) [4] ، وقوله تعالى : (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ) [5] أى جهته أو ثوابه أو القصد إليه .. وقال بعضهم : الوجه هو عبارة عنه – عز وجل – والوجه فى الآية – من حيث وضع اللغة – صلة ..

---

[1] سورة الكهف آية ٤٦ . [2] سورة الإنسان آية ٩ . [3] رواه البخارى كتاب الصلاة .
[4] رواه الدارقطنى . [5] سورة البقرة آية ١١٥ .

أما قولهم : إن الآيات تثبت صفة الوجه لله ، وهى صفة غير الذات ، فلا دليل عليه ، وقولهم : إنـــها صفة ثابتة لله يُقبل بـــها على أوليائه والطائعين من عباده ، كـــلام يفتقر إلى دليل ، وخصوصًا أنـــهم لجأوا إلى التأويل فى كلامهم عن قوله تعـــالى : (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) [1] إذ قالوا إنه أسند البقاء إلى الوجه ويلزم منه بقـــاء الذات .. ثم هل يصح على قولهم إنـــها صفة أن يُنادى اللهُ بقول : « يا ذا الوجه » كما يقال : « يا ذا الجلال والإكرام » ؟!

التعليق :

ندع الآية تَمُر كما جاءت بلا تأويل .. ونحن نؤمن بـــها كما جاءت ونفوض علم معناها المراد منها إلى ((الله)) تعالى ، ونترك تأويلها مع تنـــزيهه – سبحانه وتعالى – عن حقيقتها ، لاستحالة مشابـــهته تعالى للحوادث .. ونترك الخـــوض فى تعـــيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .. وذلك قول السلف (رضوان الله عليهم) فى الآيات المتشابـــهات والتى منها هذه الآيـــات .. سبحان الله .. سبحان الله .. لا يعرف ((الله)) على الحقيقة إلا ((الله)) ..

• صفة اليد :

أهى صفة ثابتة لله ، أم تُؤول بمعنى القدرة والنعمة ؟

يقـــول الله تعـــالى : (مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ) [2] .. (بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ) [3] ..

---

(1) سورة القصص آية ٨٨ . (2) سورة ص آية ٧٥ . (3) سورة المائدة آية ٦٤ .

قال الفريق الأول : تضمنت هاتان الآيتان إثبات اليدين صفة حقيقية ((لله)) سبحانه على ما يليق به ، ولا يمكن حمل اليدين على القدرة ، إذ إن الأشياء جميعًا خلقها الله بقدرته ، حتى إبليس .. فلا يبقى لآدم – بهذا – خصوصية يتميز بها .. كما أن لفظ اليدين بالتثنية لم يُعرف استعماله إلا فى اليد الحقيقية ، و لم يَرِد قط بمعنى القدرة أو النعمة فإنه لا يسوغ أن يقال : خلقه ((الله)) بقدرتين أو بنعمتين ..

كما أنه لا يجوز إطلاق اليدين بمعنى النعمة أو القدرة أو غيرهما إلا فى حق مَن اتصف باليدين على الحقيقة ، ولذلك لا يقال : للريح يد ، ولا للماء يد .. هذا بالإضافة إلى ما ورد من إثبات الكف والأصابع ، واليمين والشمال ، والقبض والبسط ، وغير ذلك مما يكون لليد الحقيقية ..

قال الفريق الثانى : اليد تأتى بمعنى القدرة ، وبمعنى النعمة .. وكما أن اليد جاءت فى القرآن مفردة فى قوله تعالى : (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ) [1] ، جاءت بالتثنية فى قوله تعالى : (بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ) [2] ، وجاءت بصيغة الجمع فى قوله تعالى : (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمًا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ) [3] .. كما جاء فى الحديث : (إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) [4] .. (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) [5] .. وهذه الألفاظ يستحيل حملها على ظاهرها فلزم التأويل ..

---

(1) سورة الفتح آية ١٠ . (2) سورة المائدة آية ٦٤ . (3) سورة يس آية ٧١ .
(4) رواه البخارى كتاب التوحيد .. و« يغيضها » : ينقصها .. و« سحّاء » : كثيرة العطاء والبركة .
(5) رواه مسلم كتاب الإمارة .

• صفة العين :

أهى صفة ثابتة لله ، أم تُؤول بمعنى الرعاية ، أو العناية ، أو الرؤية ؟

قال الفريق الأول : العين صفة حقيقية لله – عز وجل – على ما يليق به ، فلا يقتضى إثباتـــها كونـــها جارحة مركبة من شحم وعصب وغير ذلك ..

وأما إفرادها فى بعض النصوص وجمعها فى البعض الآخر فلا حجة فيه على نفيها فإن اللغة تتسع لذلك .. كما جاء فى قوله تعالى : (وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ) [1] .. وقوله : (تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا) [2] ..

وهل يُعقل أن يتمدّح الله بما ليس فيه فيثبت لنفسه عينًا وهو عاطل عنها ؟!!

قال الفريق الثانى : العين تعنى الرؤية ، أو الحفظ ، أو الرعايـــة فى الآيـــات المذكور فيها العين ..

والقول إنه سبحانه تَمدَّح بالعين – ولا يُعقل أن يتمدّح بما ليس فيه – كلام مردود ، لأن التمدُّحَ بجارحة يفيد نقصا إذ يحتاج إلى جارحته ، وإنما العنايـــة ، والرعايـــة ، والحفظ هى المعانى التى تُراد ، والتى يمكن أن يتمدّح بـــها الله .. وقـــد أثبـــت الله لنفسه الرؤية بقوله : (إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ) [3] وهذا يكفى لإثبات الصفة ..

التعليق :

قد يُوهم كلام الفريق الأول التجسيد والتجزئة ، إذ معنى كلامهم أن لله وجهًـــا ، ويدًا ، أو يدين ، وعينًا يبصر بـــها ، مما يُعطى الذهنَ فرصةً للتوهم والتخيل بما يتنافى مع صفات الجلال ، والمجد والعزة .. كما أنـــهم لابد لاجئون إلى التأويل كغيرهم

---

[1] سورة طه آية ٣٩ . [2] سورة القمر آية ١٤ . [3] سورة الحج آية ٧٥ .

فى مثل قوله تعالى : (عَلَىٰ عَيْنِىٓ)[1] .. (بِأَعْيُنِنَا)[2] .. (يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[3] .. وكذلك فى الحديث : (إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)[4] .. (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ)[5] .. وقد يؤخذ عليهم أنـــهم فى كلامهم لا يتركون فرصة للاحتمال ، بل يؤكدون وجود الوجه واليد والعين .. وإن سلَّمْنا بقولهم ، فكيف يكون المعـــنى فى قوله تعالى مُثنيا على بعض أنبيائـــه : (وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ)[6] .. (وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ)[7] .. ؟!

• معية الله :

أهى معيّة حسيّة أم معيّة معنويّة ؟

يقول تعالى : (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ)[8] .. (لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا)[9] .. (وَٱللَّهُ مَعَكُمْ)[10] .. (وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ)[11] .. (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ)[12] ..

قال الفريق الأول : المعيّة عامة شاملة لجميع المخلوقات .. فهو سبحانه مع كل شىء بعلمه ، وقدرته ، وقهره ، وإحاطته .. لا يغيب عنه شىء .. ولا يعجزه شىء ..

---

(1) سورة طه آية ٣٩ . (2) سورة الطور آية ٤٨ . (3) سورة الفتح آية ١٠ .
(4) رواه البخارى كتاب التوحيد .. و« يغيضها » : ينقصها .. و« سحّاء » : كثيرة العطاء والبركة .
(5) رواه مسلم كتاب الإمارة . (6) سورة ص آية ٤٥ . (7) سورة ص آية ١٧ .
(8) سورة الحديد آية ٤ . (9) سورة التوبة آية ٤٠ . (10) سورة محمد آية ٣٥ .
(11) سورة البقرة آية ٢٤٩ . (12) سورة المجادلة آية ٧ .

وهناك معية خاصة وهو معيته لرسله وأوليائه بالنصر ، والتأييد ، والمحبة ، والتوفيق ، والإلهام ..

قال الفريق الثانى : المعيّة : معيّة معنوية تعبر عن العلم ، أو القدرة ، أو النصر ، أو التأييد .. واتفقوا فى هذا الشأن مع الفريق الأول ..

التعليق :

نجد أن الفريق الأول تمسّكوا بالظاهر اللفظى فى بعض الأمور التى يريدون إثباتها ، وخرجوا على ظاهر اللفظ بالتأويل فيما يريدون ، حيث اعتبروا ظاهر اللفظ فى العين واليد .. إلخ .. ولجأوا إلى التأويل فى المعية فاختلف معيار التفسير لديهم .. ونجد أن الفريق الثانى أتعبوا أنفسهم فى التخريج ، والتأويل لكل الصفات الْمُختلف عليها مما قد يؤدى إلى التعسف .. ونقول : إن هذه الآيات من الْمُتَشَابِهَات ، وكذلك الأحاديث .. ولا يصح الخوض فيها ، وإلا كان الخائض ممن قال ((الله)) تعالى فى شأنهم : (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ)[1] وقد قال تعالى حاسمًا للأمر : (وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ)[2] .. وعليه فمن الواجب ترك الخوض فى تعيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .. كما يجب الإيمان بهذه الآيات كما جاءت حتى نكون من الذين وصفهم الله بقوله : (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا) [3] ونفوض علم معناها المراد منها إلى ((الله)) تعالى دون تأويل ودون تشبيه لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث إذ ليس كمثله شىء .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

---

(1) سورة آل عمران آية ٧ . (2) سورة آل عمران آية ٧ . (3) سورة آل عمران آية ٧ .

• نزول الله إلى السماء الدنيا :

أهو حقيقة ، أم مجاز ؟

قال رسول الله (ﷺ) : (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟) [1] ..

قال الفريق الأول : إن النزول صفة لله على ما يليق بجلاله وعظمته .. فهو لا يماثل نزول الخلق .. كما أن استواءه على العرش لا يماثل استواء الخلق .. وإن النزول صفة حقيقية لله – عز وجل – على الكيفية التى يشاء .. ويقولون : إن الرسول أخبرنا أنه ينزل ، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل ؟

قال الفريق الثانى : إن النزول ليس على الحقيقة ، وإنما هو كناية أو مجاز عن فتح أبواب التوبة ، والرحمة ، وإجابة الدعاء .. إذ لا يجوز على الله الانتقال من مكان إلى مكان ، لأن ذلك من صفات المحدثات ..

التعليق :

ثبت من العلوم الحديثة أن الثُّلث الأخير من الليل مستمر طوال الأربع والعشرين ساعة .. إذ يكون الليل فى مكان .. والنهار فى مكان آخر بسبب كروية الأرض ولدورانها حول نفسها .. فلو أخذنا بقول الفريق الأول ، لكان معنى ذلك : أن الله فى السماء الدنيا طوال الأربع والعشرين ساعة !! مما يحدد لله مكانًا – وتعالى الله عن أن يحده زمان ، أو يحويه مكان – ولو أخذنا بقول الفريق الثانى .. لخضنا

[1] رواه البخارى كتاب الجمعة .

فيما لا علم لنا به .. وعليه فالواجب الإيمان بالحديث كما جاء .. دون الخوض فى تعيين التأويل .. ويكفى أن نعلم أنه بالنسبة إلينا – حيث نكون – فى أى مكان يُستحب الاستغفار ، والدعاء ، واللجوء إلى الله فى ساعات الليل .. حيث هدوء الأصوات ، والفراغ عن الشواغل ، والبعد عن الرياء ، والتوجه بالإخلاص لله عز وجل ..

• كَلاَمُ الله :

أهو بصوت وحرف ، أم هو معانٍ قائمة بذات الله ؟

قال الفريق الأول : إن الكلام صفة لله – عز وجل – قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته ، فهو لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء .. والله سبحانه نادى « موسى » بصوت ، ونادى « آدم » بصوت ، ولكن الحروف والأصوات التى تكلم بها صفة له غير مخلوقة ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم .. والكلام عن سؤال « عيسى » يوم القيامة حكاية لما سيكون يوم القيامة .. وقوله تعالى : (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) [1] ، وآيات غيرها تدل على أن ((الله)) قد نادى « موسى » وناجاه حقيقة من وراء حجاب بلا واسطة مَلَك .. والكلام لابد أن يكون حادثًا لقوله : (وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ) [2] ، وقوله : (وَنَـٰدَيۡنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ) [3] يدل على حدوث النداء .. والنداء لا يكون إلا صوتًا مسموعًا .. وكذلك حدث مع « آدم وحواء » فإن النداء حدث

---

[1] سورة النساء آية ١٦٤ . [2] سورة الأعراف آية ١٤٣ . [3] سورة مريم آية ٥٢ .

بعد وقوع الخطيئة ، وكذلك قوله : (وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ) [1] أى فى يوم القيامة ..

وأما الكتب السماوية فهى كلام الله ، تكلم بها حقيقة بألفاظها ومعانيها بصوت نفسه .. فهو الذى تكلم بالتوارة بالعبرانية .. وبالإنجيل بالسريانية .. وبالقرآن بلسان عربى مبين .. فإذا قرأه العباد قرءوه بصوت أنفسهم ، وكما أنه كلامه فهو كتابه ، لأنه كُتِبَ فى اللوح المحفوظ وفى المصاحف ..

قال الفريق الثانى : إن الله سبحانه وتعالى متكلم آمِرٌ نَاهٍ واعد متوعد بكلام أزلى قديم قائم بذاته لا يشبه كلام خلقه ، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان .. وإن القرآن مقروء بالألسنة ، مكتوب فى المصاحف ، محفوظ فى القلوب .. وإنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى ، لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق .. وإن موسى سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الأبرار ذات الله فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض .. والكلام حقيقة كلام النفس ، وإنما الأصوات قطِّعت حروفًا للدلالات كما يُدَلُّ عليه أحيانًا بالحركات والإشارات .. والقديم عبارة عما ليس قبله شىء ، فإذا كانت الباء قبل السين فى قوله : (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ) [2] فلا تكون السين قديمة لأنها متأخرة عن الباء .. وإن عُقل أن يكون له سبحانه علم واحد هو علم بجميع المعلومات ، فليعقل أن له صفة واحدة للذات : هى الكلام بجميع ما دل عليه بالعبارات ، والكلام قائم بنفسه سبحانه وتعالى ، قديم ، وكذا جميع صفاته ، إذ يستحيل أن يكون ((الله)) مَحِلاً للحوادث ، داخلاً تحت

---

(1) سورة القصص آية ٦٢ .

(2) سورة الفاتحة آية ١ .

التغيير ، لأن ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ..

وينبنى على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته ، وإنما الحادث هو الأصوات الدالة عليه ، وقول الله : (فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ) [1] طلب قائم بذات الله من الأزل وأصبح « موسى » مُخَاطَبًا به بعد وجوده ، إذ خُلِق له معرفةٌ بذلك الطلب ، وسمعٌ لذلك الكلام القديم ..

التعليق :

الكلام : غير مجهول .. والكيف : غير معقول .. والإيمان به : واجب .. ومحاولة معرفة الكيفية : خروج عن منهج السلف والسنة ..

نقول للفريق الأول : كيف كان « جبريل » يوحى إلى النبى (ﷺ) ؟! حين كان يأتيه مرةً على هيئة البشر فيكلمه ، ومرة يأتيه الوحى كصلصلة الجرس – وهو أشدُّه عليه – ثم يُفْصَمُ عنه وقد وعى ما قال ، فكيف يكون ذلك كلامًا بصوت وبحرف ، والصحابة جالسون ولا يسمعون ؟! كما أن النبى (ﷺ) فرق بين كلام « جبريل » – وهو فى صورة البشر – وبين الوحى إذا جاء على هيئة صلصلة الجرس .. وفى قوله عز وجل : (وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ) [2] أكان هذا الإيحاء كلامًا بصوت وبحرف ، أم كان إلهامًا ، كما فى قوله تعالى : (وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ) [3] ؟! .. ثم إن الحرف ينتج من إطباق الشفتين وتحريك اللسان حتى يُقَطِّعَ الصوتُ إلى حروف ، والأصوات تنشأ من اصطكاك الأجرام وانسلال الهواء ، وهى موجات صوتية لابد لها من وسط كالهواء ، أو غيره ..

---

[1] سورة طه آية ١٢ . [2] سورة القصص آية ٧ . [3] سورة النحل آية ٦٨ .

بدليل أن الصوت فى الفراغ لا وجود له ، وذلك ثابت علميا .. واحتياج الصوت إلى الوسط الناقل ، واحتياج الحروف إلى شفاه تخرجها ، يستحيل على البارئ سبحانه وتعالى ..

ونقول للفريق الثانى : إن خلق علم ضرورى وسمع « لموسى » يَعى به كلام الله القائم بذاته العلية شىء .. والتكليم شىء آخر .. إذ قال تعالى : (وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا) [1] .. إذًا فلابد من الإيمان بأن الله متكلِّمٌ ، ونفوض العلم بكيفية كلام الله .. إلى الله .. الذى ليس كمثله شىء .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

• صفات أخرى :

ورد فى بعض الأحاديث الشريفة ألفاظ نسبت إلى ((الله)) – عز وجل – كالضحك ، والعجب ، والمقت ، والسخط ، والفرح ، والكراهية .. اختلف فيها المتأخرون أيضًا :

قال الفريق الأول : على المؤمن الإيمان بكل ما نسبه ((اللهُ)) إلى نفسه من الأفعال المتعلقة بذاته كالاستواء على العرش .. والمجىء .. والإتيان .. والنزول إلى السماء الدنيا .. والضحك .. والرضا .. والغضب .. والكراهية والمحبة المتعلقة بخلقه – كإيمانه بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ، وأنواع التدبير المختلفة ، إيمانًا خاليًا من التحريف أو التعطيل أو التكييف أو التمثيل – وإثبات هذه الصفات على الوجه اللائق بعظمة الرب جل شأنه ..

---

[1] سورة النساء آية ١٦٤ .

ومن كلامهم عن صفة « **الفرح** » فى الحديث الشريف : (وَاللَّهِ .. لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاةِ) [1] أنــها صفة حقيقية ((لله)) – عــز وجل – على ما يليق به وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته وقدرته فيحدث له هذا المعنى المعَبّر عنه بالفرح عندما يحدث عبده التوبة والإنابة إليه ، وهو مُستلزمٌ لرضاه عن عبده التائب وقبول توبته ، وفرح الله منــزه عن فرح المخلوق ولا يشبهه لا فى ذاته ولا فى أسبابه ولا فى غايته ، فسببه كمال إحسانه ورحمته التى يحب من عباده أن يتعرضوا لها ، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين ..

ويثبتون أيضا « **الضحك** » ((لله)) عز وجل كما ورد فى الحديث النبوى الشريف : (يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلانِ الْجَنَّةَ .. يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ) [2] على المعنى الذى يليق به سبحانه ، والذى لا يشبه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح أو يستفزهم الطرب .. بل هو معنى يحدث فى ذاته – عز وجل – عند وجود مقتضيه ، ويحدث بمشيئته وحكمته ، فإن الضحك إنما ينشأ فى المخلوق عند إدراكه لأمر عجيب يخرج عن نظائره ، والحالة المذكورة فى الحديث كذلك ، فإن تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاة – فى بــادئ الرأى – لسخط الله على هذا الكافر وخذلانه ومعاقبته فى الدنيا والآخرة ، فإذا منّ الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة وهداه للدخول فى الإسلام وقاتل فى سبيل الله حتى يُسْتَشْهَدَ فيدخل الجنة كان ذلك من الأمور العجيبة حقًّا !!

ويثبتون صفة « **الْعَجَب** » ويقولون : (ليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خفاءِ الأسباب

[1] رواه مسلم كتاب التوبة .
[2] رواه البخارى كتاب الجهاد والسير .

أو الجهل بحقائق الأمور – كما هو الحال فى عجب المخلوقين – بل هو معنى يحدث له – سبحانه – على مقتضى مشيئته وحكمته وعند وجود مقتضيه وهو الشىء الذى يستحق أن يُتعجب منه) ..

ثم يثبتون « **الْقَدَم** » ((لله)) استنادًا إلى حديث جهنم : (لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَتَقُولُ قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ) [1] .. ويقولون : فى هذا الحديث إثبات الرِّجْل والقدم لله عز وجل ، وهذه الصفة تجرى مجرى بقية الصفات ، فتثبت لله على الوجه اللائق بعظمته وجلاله .. ولَمّا كان مقتضى رحمته وعدله ألا يعذب أحدًا بغير ذنب ، وكانت النار فى غاية العمق والسعة حقق وعده تعالى .. فوضع فيها قدمه فحينئذ يتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها ..

قال الفريق الثانى : هذه الألفاظ ظاهرها غير مراد .. وإنما المراد لازمها ويُرجعونها إلى صفة الإرادة التى هى قائمة بالذات العلية ، وهى أزلية وليست بحادثة .. فيقولون : (إن محبة الله لعبده معناها إرادته لإكرامه ومثوبته) ، وكذلك يقولون فى الرِّضا والغضب والكراهية والسخط كلها تعنى إرادة الثواب والعقاب .. ويؤولون « **الفرح** » بلازمه وهو الرضا ، ويفسرون الرضا بإرادة الثواب .. ويؤولون « **الضحك** » بالرضا والقبول .. ويؤولون « **القدم** » بخلق مستحقين للنار يقدمهم ربهم إلى جهنم مثل قوله : (أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ) [2] .. ويقولون « الرِّجْل » بمعنى السِّرْب أو الفوج كقولهم : « رِجْلُ جَرَادٍ » أى سِرْبٌ من الجراد أو

---

[1] رواه أحمد باقى مسند المكثرين ، ومسلم كتاب الجنة .

[2] سورة يونس آية ٢ .

فوج من الجراد .. ولا يأخذونـــها على معنى الجارحة .. ويستدلون بباقى الحديث وهو قوله : (وَلا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ) ..

التعليق :

الصفات التى أثبتها الفريق الأول كالضحك ، والعجب ، والفرح ، والحب ، والكره ، والبغض ، والسخط كلها ترجع إلى المشاعر والأحاسيس فى مفهوم اللغة العربية .. ولا ترجع إلى صفات الأفعال كالخلق ، والرزق ، والنفع ، والضـــر ، والرفـــع ، والخفض ، والقبض ، والبسط .. فلا يمكن أن يسوى بينهما فى المفهوم ..

كما أن الفريق الأول وقع فى المحظور أكثر من مرة إذ يقولون عن هذه الصفات مرة إنـــها معانٍ تحدث فى ذاته ، ومرة أخرى يقولون إنـــها معانٍ تحدث له سبحانه .. ومن المعلوم أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث .. ثم إن كثيرًا مـــن الأفعـــال المنسوبة إلى الذات العلية وردت فى القرآن و لم تُعتبر كصفات لله عز وجل مثـــل : (يكْشِفُ السُّوءَ .. ويقْذِفُ بالْحَقِّ) وما إلى ذلك .. ومن هنا كان رأى الســـلف عدم إعمال العقل فى المتشابـــهات من الآيات ، وكذلك ما كان على نـــهجها من الأحاديث مثل الحديث الذى رواه أبو ذَرٍّ (رضي الله عنه) فقال : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) لأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ : أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ! قَالَ : فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا ، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلا يُقْبَلَ مِنْهَـــا ، وَتَسْتَأْذِنَ فَلا يُؤْذَنَ لَهَا ، يُقَالُ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَـــا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ)[1] .. [2]

---

[1] سورة يس آية ٣٨ .

[2] رواه البخارى كتاب بدء الخلق .

وعلى ذلك فالأسلم للعقيدة والأحوط أن نؤمن بما جاء فى الآيات والأحاديث دون أن نؤوّل أو نشبّه أو نعطّل .. ونفوض العلم إلى الله تعالى ، ونترك الخوض فى تعيين التأويل بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ، ونقول كما قال السلف : تُمَر الآيات كما جاءت بلا تأويل .. وكذلك الأحاديث .. والله أعلم بمراده .. سبحانه : (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ) [1] .. هو ((الله)) ..

النَّجَاةُ فِى فَهْمِ الصِّفات

قال رسول الله (ﷺ) : (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ) [2] .. وقال (ﷺ) : (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي) [3] ..

وقد تقبل الأصحاب (رضوان الله عليهم) هذا الكلام دون أن يُعملوا عقولهم فى كيف ولماذا وأين ومتى .. وكان جلّ اهتمامهم أن يعرفوا أوامر ((الله)) ونواهيه حتى يعملوا بأمره وينتهوا بنهيه .. كى يفوزوا برضوانه ويتقوا غضبه وسخطه .. وما فهموه عملوا به ، وما لم يفهموه آمنوا به .. هكذا كان سلوكهم مع القرآن فى الأمور التى لا تتعلق بالتكاليف كالأخبار عن الأمم الماضية والقصص والغيبيات وما إلى ذلك ..

---

[1] سورة الشورى آية ١١ .
[2] رواه البخارى كتاب بدء الخلق .
[3] رواه البخارى كتابى بدء الخلق والتوحيد .

والقرآن هو آخر الكتب السماوية .. وهو لهم ولمن بعدهم .. ولنا ولمن بعدنا .. حتى تقوم الساعة ..

ولا شك أن المعارف تتزايد والعلوم تكثر والمخترعات والمكتشفات باستمرار تعطى فهمًا أوسع .. خصوصًا فى الآيات الكونية .. وعليه فهناك من يُقال لهم – كالصحابة – : (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ) [1] فيعتبرون هم ومن يجىء بعدهم .. وهناك ما يُقال لمن يأتى بعدهم وبعدنا مثل : (وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ) [2] ففهمها الصحابة على أنها حركة الشمس من المشرق إلى المغرب والتى تراها الأعين .. ويأتى مِنْ بعدهم مَنْ يكتشف أن المتحرك هو الأرض وليس الشمس فيقول : إن الخطاب كان بحسب الأمر الظاهر للأعين فخاطبهم بما يرون .. ثم يأتى بعد ذلك مَنْ يقول : بل الخطاب على الحقيقة فالشمس فعلاً تجرى ساحبة للمجموعة الشمسية معها إلى حيث لا يعلم مستقرها إلا الله .. ويعلم الله ما سوف يُكتشف بعد ذلك ..

هذا بالنسبة إلى المشاهَدات فكيف الأمر بالنسبة إلى الذات العلية التى لا يصح التفكر فيها أصلاً ، إذ ليس كمثله شىء ، وكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك ..

لاشك أن إعمال العقل فى ما لا يجب للعقل أن يعمل فيه متلفة للعقل ، مفسدة للعقيدة .. و((الله)) تبارك وتعالى قد أراد بنا وأراد منا .. فما أراده منا بيّنه لنا ، وما أراده بنا أخفاه عنا .. فلا يصح أن نشغل أنفسنا بما أراده الله بنا ، عما أراده الله منا ..

---

[1] سورة الغاشية آية ١٧ .

[2] سورة يس آية ٣٨ .

والتفكر فى الصفات يجب أن يكون فى أثرها وليس فى كنهها ، أو كيفية اتصاف الله بـــها ، ويجب اعتبار أن الألفاظ دلالات .. مجرد دلالات .. أما الحقيقة فيعلمها الموصوف سبحانه وتعالى .. فمثلا حديث : (إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي) [1] .. وفى رواية (سَبَقَتْ غَضَبِي) تفيد أن الرحمة سابقة وهى قديمة .. وصفات الله قديمـــة .. والقديـــم هو ما لا يوجد شيء سابق عليه .. وفى الحديث يتضح أن الغضب مسبوق بالرحمة وإذاً فهو ليس بقديـــم ، وما ليس قديمًا لا يصلح أن يطلق عليه أنه صفة للذات العلية .. هكذا فهموها .. والرحمة مشتق منها اسمان ((لله)) وهما : « الرَّحْمَـٰـــن » و« الرَّحِيم » .. أما « الغضب » فليس منه اشتقاق ، ولا يصح منه اشتقاق فى حـــق ((الله)) تعالى .. ولقد ورد فى الحديث : (إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الـــرَّبِّ)[2] ، والصفات لا تُطفأ بل هى أزلية أبدية ، وبالتالى فلا يصح أن نصف ((الله)) تبارك وتعالى بما لم يصف به نفسه ، مستنتجين من الآيات ، أو مستنبطين من الأفعال ..

والأفعال الخاصة أو المتعلقة بالإرادة والقدرة تبقى على أصلها دون تخريج أو تأويل .. فالله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد ولا يقع فى ملكه إلا ما يريد .. وليس للعبد أن يسأل لماذا وكيف : لا فى أفعال الله ، ولا فى تكاليفه للعباد .. فالله تبارك وتعالى يتعبد الخلق بما شاء ليميز الطائع من العاصى ..

وقد ضُربت أمثلة فى القرآن عن أسئلة لا تجوز حتى نتنبه لـــها .. وما ضُربت لنا إلا مثلاً وعبرة لنعتبر كما قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ) [3] ..

---

[1] رواه البخارى كتابى بدء الخلق والتوحيد .

[2] رواه الترمذى كتاب الزكاة .

[3] سورة يوسف آية ١١١ .

السؤال الأول ، قول « موسى » عليه السلام كما جاء فى القرآن :

(رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) [1]

تاب من أى شىء ؟ .. تاب من السؤال ، كما تاب « نوح » من قبله : (إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ) [2] ففهمنا من سؤال « موسى » أن الله سبحانه لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار .. وفهمنا أيضًا أن الرؤية ليست مستحيلة ، لأن ((الله)) علق الرؤية على ممكن .. وطالما علق الأمر على ممكن فهو ممكن .. واستقرار الجبل مكانه من الممكنات لو شاء الله .. ونحن فى الدنيا .. البصر فان .. والفانى لا يمكن أن يَرَى الباقى .. وفى الآخرة يُمنح المؤمنون جسدًا باقيًا .. وخلدًا فى النعيم .. وبصرًا باقيًا .. فيرون الباقى بالباقى : (وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ) [3] .. وكيفية رؤية المؤمنين ((لله)) أمر لا يعنينا .. ولكننا نسأله سبحانه أن يرزقنا رؤيته يوم القيامة .. والمطلوب منا أن نعمل كى نفوز بـــهذه الرؤية ..

السؤال الثانى ، قول « عُزَيْر » عليه السلام كما قَصَّ علينا القرآن :

(أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ

---

(1) سورة الأعراف آية ١٤٣ . (2) سورة هود آية ٤٧ . (3) سورة القيامة الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (١)

والقصة عبرة .. و« عُزَيْر » نبى مؤمن .. لا يسأل إلا إذا سُمح له ليتضح لنا أن هذا السؤال – وهو من نبى – لم ينل عنه إجابة .. ومن باب أوْلَى إذا نحن سألناها فلن ننال عنها إجابة ..

والسؤال الثالث ، قول « إبراهيم » عليه السلام كما جاء فى القرآن :

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (٢)

يلاحظ أن الآية خُتمت بقوله تعالى : (وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .. أى لا يُنال ولا يدرك ما عنده .. وأن ما طلبته أمر مستحيل أن تصل إليه .. ولكن ((الله)) جعل الطيور تأتيه قبل أن يتم هو نداءه لها .. وهكذا يكون إحياء الموتى : (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ) (٣) .. وكما حدث بالنسبة لقصة عرش « بلقيس » مع « سليمان » كما حكى القرآن : (قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩ . (٢) سورة البقرة آية ٢٦٠ . (٣) سورة الروم آية ٢٥ .

مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ) [١] .. تحقق الطلب بـــهذه الصورة المعجزة إذ أعطاه الله فى ذلك سلطة استعمال « كن » فكان له ما أراد .. وهنا نأخذ فكرة عن السنن الكونية ، وكيف يمكن إبطالها ، أو إبطال بعضها دون البعض كالطعام الذى لم يتسنّه ، والحمار الذى أماته الله ثم أحياه ، و« عُزَيْر » الذى لم يتأثر بالموت [٢] .. فهى سنن مختلفة فى وقت واحد .. ومكان واحد .. وكيف أننا نعيش فى هذه الدنيا مع الأسباب التى ربطها ((الله)) بالمسببات .. أما فى الجنة فترتفع الأسباب .. وتبقى المسبَّبات .. بالحقائق دون الوسائط ، وعليه ، فلا يصح استخدام أدوات الاستفهام : أين ، ومتى ، وكيف ، ولماذا ، مع ((الله)) .. إذ هو – سبحانه وتعالى – الفعال لما يُريد .. ولا يقع فى ملكه إلا ما يُريد .. سبحانه وتعالى .. هو ((الله))

كُن فيكُونُ

قال تعالى : (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) [٣] .. قُرئت : (فيكونُ) بالرفع ، وقُرئت : (فيكونَ) بالنصب ، فإن كانت على القراءة الأولى فهى مرفوعة على الاستئناف أى : فهو يكون ، أو فإنه يكون .. ومعنى ذلك أنه يكون كائنًا بعد الأمر .. وإن كانت على القراءة الثانية : فإن الكلمة تكون معطوفة على (يقول) ، وعلى ذلك يكون كائنًا مع الأمر .. وفى هذه الحالة ، فإن أمره للشىء (كُنْ) لا يتقدم الوجود ، ولا يتأخر عنه .. فلا يكون الشىء مأمورًا بالوجود إلا وهو موجود بالأمر .. ولا يكون الشىء موجودًا إلا وهو مأمور بالوجود .. ومثال

[١] سورة النمل آية ٤٠ . [٢] كما فى الآية ٢٥٩ من سورة البقرة . [٣] سورة يس آية ٨٢ .

ذلك : قيام الناس من قبورهم لا يتقدم دعاء الله ولا يتأخر عنه ، كما قال تعالى : (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)[1] .. وإنه سبحانه وتعالى أجرى سنته فى تكوين الأشياء أن يكونـــها بكلمة (كن) أزلاً .. فإن قيل : ففى أى حال يقول للشىء (كن) فيكون ؟ فى حال عدمه أم فى حال وجوده ؟ .. فإن كان فى حال عدمه : استحال أن يأمر إلا مأمورًا كما يستحيل أن يكون الأمر إلا مِنْ آمر .. وإن كان فى حال وجوده ، فتلك حال لا يجوز أن يُؤْمَر فيها بالوجود والحدوث ، لأنه موجود حادث فعلا .. والإجابة بواحد من ثلاثة :

الأول : أنه خبر من ((الله)) تعالى عن نفوذ أمره فى خلقه الموجود فعلاً .. كما أمر طائفة من بنى إسرائيل أن يكونوا قردة خاسئين فكانوا كما أراد .. ولا يكون هذا الأمر بـــ (كن) واردًا فى إيجاد المعدومات ..

الثانى : أن ((الله)) تعالى عَالِم بما هو كائن قبل كونه ، وبما هو حادث قبل حدوثه ، وكل الموجودات قبل أن تكون وتحدث كانت موجودة فى علم ((الله)) تعالى الأزلى على صورتـــها التى وُجدت عليها ، والتى أرادها الله لها ، فجاز أن يقول لها : (كونى) ويأمرها بالخروج من حال العدم إلى حال الوجود فوُجِدت وخرجت من عالَم الغيب إلى عالَم الشهادة إذ إنـــها جميعا متصورة لديه أزلاً ، وهو عالِم بـــها فى حال عدمها قبل أن تكون ..

الثالث : أن ذلك خبر من الله تعالى عام عن جميع ما يحدثه ويكونه إذا أراد خلقه وإنشاءه كان ، من غير أن يكون هناك قول يقوله .. وإنما هو قضاء يريده ..

---

[1] سورة الروم آية ٢٥ .

فعبر عنه بالقول – وإن لم يكن قولاً – تمثيلاً بتأثير قدرته فى مراده بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع أو توقف أو افتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة ..

وفى كل الأحوال دلت الآية على أمور ثلاثة :

الأول : أن كلام ((الله)) تعالى قديم غير مخلوق .. لأنه لو كان قوله (كُنْ) مخلوقًا لاحتاج إلى قول ثان واحتاج القول الثانى إلى ثالث .. وتسلسل وهذا محال عقلاً ..

الثانى : أن ((الله)) سبحانه وتعالى مريد لجميع الحادثات والحوادث كلها خيرها وشرها ، نفعها وضرها .. والدليل على ذلك أن من يرى فى سلطانه شيئًا يكرهه ولا يريده فلأحد شيئين : إما لكونه جاهلا لا يدرى ، وإما لكونه مغلوبًا لا يطيق .. ولا يجوز هذا ولا ذاك فى وصفه – سبحانه وتعالى – فهو العالِم القادر أزلاً وأبدًا ..

الثالث : أن ((الله)) تبارك وتعالى لم يزل آمرًا للمعلومات بشرط وجودها .. قادرًا مع تأخر المقدورات .. عالِمًا مع تأخر المعلومات .. فكل ما فى الآية يقتضى الاستقبال فهو بحسب المأمورات إذ المحدثات تجىء بعد أن لم تكن .. وكل ما يُسند إلى ((الله)) تعالى من قدرة وعلم فهو قديم لم يزل .. والمعنى الذى تقتضيه عبارة (كن) هو قديم قائم بذات الله تعالى أزلاً ..

سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..

أفْعَالُ الْعِبَادِ

كل إنسان يجد فى نفسه تمييزًا بين الجميل من الأشياء والقبيح .. وكذلك تنفعل نفسه بَهجة وسرورًا من الجميل ، واشمئزازًا ونفورًا من القبيح .. وهذا التمييز فى المبصرات يوجد مثله فى المسموعات والمشمومات .. وكذلك المعقولات من المعانى كالأمانة والصدق والهمة والشرف والشجاعة وأضدادها ..

وعلى هذا التمييز قامت الصناعات ، وتطور العمران ، وحدثت المخترعات التى تهدف إلى راحة الإنسان وسعادته فى دنياه ..

وإن اختلفت الأذواق فلأن فى الأشياء جمالاً وقبحًا .. وقد يجمل القبيح بجمال أثره كمرارة الدواء فى إحداث الشفاء .. وقد يقبح الجميل بقبح ما يقترن به أو ينتج عنه ..

كل هذا عرفه العقل البشرى .. وفرق بين النافع والضار ، وبين الخير والشر .. وهذا منبت التمييز بين الفضيلة والرذيلة ، والخير والشر .. وعلى ذلك فإن كل إنسان يزن أفعاله بعقله ويقدرها بإرادته ، ويقوّم نتائجها .. ثم بعد ذلك يتمم الفعل بقدرته الذاتية وما يملكه من إمكانيات مختلفة ، ولكن على رغم ذلك قد تأتى النتائج على غير ما فكّر وقدّر ، فيعاود التفكير فى أسباب الفشل ، فإن كان لتقصيره ، أو غفلته عن شىء ، أو لتدخل من غيره ، عاود المحاولة مستفيدًا من تجربته ، وإن كان لأسباب خارجة عن إرادته ، تبيَّنَ له أن فى الكون قوة أكبر من أن تُحيط بها قدرته ، وأن وراء تدبيره سلطانًا لا تصل إليه سلطته ، فيخضع لسلطان القضاء والقدر ، ويعلم أن الإنسان يكسب بإرادته واختياره وقدراته الممنوحة له ما هو

وسيلة لسعادته فى الدنيا والآخرة .. وكذلك يعلم أن قدرة الله هى المرجع لجميع قدرات المخلوقات ، وأن إرادة الله فوق كل إرادة ، وأن مِنْ آثارها ما يحول بين العبد وبين إنفاذ ما يريد .. وأنه لا عون يفيد فى بلوغ ما يريد إلا عون الله وتوفيقه ، وأن مشيئة الله – وحدها – لها السلطان الأعلى فى إتمام المراد لإزالة الموانع وتَهيئة الأسباب المتممة أو الحيلولة بين العبد وبين ما يريد بأسباب فوق قدرة العبد ..

فالإنسان يعلم أنه فى أعماله الاختيارية – عقلية كانت أو جسمانية – قائم بتصريف ما وهب ((الله)) له من المدارك والقوى فيما خُلقَت لأجله ، وعليه أن يستفيد من أخطائه ، وأن يستفيد من تجاربه ، حتى يحصل على أحسن النتائج ومنتهى ما يمكن من المعطيات المسخرة من فضل ((الله)) .. وبالإضافة إلى ذلك هو يعلم أن مقاليد السماوات والأرض ((لله)) ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر .. فيأخذ بالأسباب ويتوكل على ((الله)) .. لأن ترك الأسباب جهل ، وأن ترك التوكل فسق .. فالله تعالى هو الخالق لكل شىء .. خلق الخلق وأعمالهم ، وقدر آجالهم ، وأرزاقهم ، وأنشأ قدراتهم وحركاتهم ، فالعنكبوت ونسجه ، والنحل وعسله ، والنمل ودأبه ، والقمر وفلكه ، والإنسان وعمله ، وسائر الكائنات ، وما لها من حركات ، وسكنات ، هى كلها من صنع بديع الأرض والسماوات ..

ويتميز الإنسان عن كافة المخلوقات بأنه مُكلَّف مختار فى عمله على مقتضى فكره .. وقد وهبه الله ثلاث قوى لم تمنح لغيره من المخلوقات ، وهى :

الذاكرة والمخيلة والمفكرة : فالذاكرة تأتيه بصور الماضى .. والمخيلة تجسم له المذكور وتنشىء له مثالاً فى المستقبل بما يحيط به من أَلَم أو لذة .. ثم يبدأ عمل الفكر

فى إيجاد الوسيلة المناسبة والملائمة للحصول عليه أو الهرب منه ..

هذه القوى الثلاث هى التى أوجدت التمييز فى الإنسان بين النافع والضار ، والخير والشر من قَبْل الرسالات السماوية .. فإذا جاءت الأديان بالأمر والنهى والأحكام وبيان الحلال والحرام ، كان الإنسان مؤهلاً للتكليف بما منحه الله من عقل ، وبما ميّزه عن سائر الحيوان ..

وكتابة الله لكل شىء فى الذكر قبل خلق السماوات والأرض كتابة علم وليست كتابة إجبار – كما يفهم بعض الناس – فإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة .. فكل ما يحدث فى الوجود من حركة أو سكون لابد أن يكون مطابقًا لما كُتِبَ من قبل الخلق .. فلا شىء فى العلم الأزلى بسالب للتخيير فى الكسب .. وكون ما فى العلم يقع لا محالة إنما جاء من حيث هو الواقع .. والواقع لا يتبدل ..

فإن ((الله)) تبارك وتعالى يعلم أن العبد سوف يعمل كذا فى وقت كذا وهذا العمل يثاب عليه .. أو أنه سوف يعمل كذا فى وقت كذا وهذا العمل يعاقب عليه .. ولا يخرج الواقع – مهما كان – عن كونه مرادًا لله – عز وجل – من الأزل .. إذ لا يقع فى ملكه إلا ما يريد .. من هنا نعلم أن أفعال العباد من خلق الله وتقديره .. وهى فى الوقت نفسه من كسبهم وتدبيرهم .. لكنها ليست من خلقهم واختراعهم بدليل عدم معرفة العبد بتفاصيل أجزاء الحركات ومنشأ طاقاتها ، وارتباطها بالأعصاب والعضلات ..

وهى كذلك ليست جبرًا مطلقًا ، بدليل الفارق الموجود بين الحركة الجبرية كحركة الحجاب الحاجز ، ودقات القلب ، وبين الحركة الاختيارية كالتقلب من

جنب إلى جنب ..

وكون الأفعال كلها مرادة لله تعالى ، لا يعنى أنه يرضى عنها .. فهو لا يرضى لعباده الكفر .. ولكنه يريده منهم .. وإلا لما وقع .. وهو القائل : (وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ)[1] .. وهو القائل : (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا)[2] .. ومع أن وقوع المعاصى والشرور والكفر والفجور بإرادته إلا أنه لم يأمر بـــها .. وهو القائل : (قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ)[3] بل أمر بالإيمان والطاعة ، وهو القائل : (إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ)[4] .. وعليه فالأمر غير الإرادة .. وقد يتفقان ، وقد يختلفان ..

وإرادة الله لا تنافى حرية العبد فى الاختيار ، ولذلك قال : (فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ)[5] .. وقال : (لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾)[6] .. وقال : (فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾)[7] ..

وعليه يمكن تلخيص الأمر فيما يلى :

((الله)) تبارك وتعالى خلق الخلق وهو يعلم ما يكون منهم ، فأحصاه عليهم قبل أن يخلقهم ضمن ما كتب من قضاء وقدر إلى أن تقوم الساعة ، وذلك فى اللوح المحفوظ ..

---

[1] سورة الأنعام آية ١٠٧ . [2] سورة يونس آية ٩٩ . [3] سورة الأعراف آية ٢٨ .
[4] سورة النحل آية ٩٠ . [5] سورة المدثر الآيتان ٥٥ ، ٥٦ . [6] سورة التكوير الآيتان ٢٨ ، ٢٩ .
[7] سورة الإنسان الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

عند جمع الخلق فى الرحم مضغة ، يأمر ((الله)) الْمَلَك فيكتب أربعة أشياء ، هى مكتوبة أصلا فى اللوح المحفوظ ، وهى : (أجله – رزقه – وأثره – وشقى أم سعيد) ..

جميع قدرات العباد من خلق ((الله)) وإيجاده ، قد سخرها لهم ، ومكنهم فيها .. كل ما يقع فى ملك الله لا يخرج عن سلطانه وقهره وإرادته .. فهو المالك للملك والملكوت المتسلط بالقهر والجبروت ..

أَذِنَ بوقوع ما لا يرضاه من العباد حتى يلزمهم الحجة .. إذ لو أدخلهم النـــار بمجرد خلقهم لمعرفته الأزلية بما سيكون عليه أمرهم – من جحود ونكران – لقالوا كما أخبر عنهم : (وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ) [1] ..

أمر العباد جميعًا بالطاعة ، وأرسل الرسل ، وأيدهم بالمعجزات ، وأنزل الكتب ، محكما فيها الآيات : (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ) [2] .. وقال : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً) [3] .. وقال : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ) [4] ..

ومع كل ذلك فلله – تبارك وتعالى – أن يصطفى من عباده من يشاء فينعم عليهم بالتوفيق والهداية .. وهو القائل : (ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ)[5].. والقائل : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ)[6].. والقائل : (ٱللَّهُ

---

(1) سورة طه آية ١٣٤ . (2) سورة النساء آية ١٦٥ . (3) سورة الإسراء آية ١٥ .
(4) سورة القصص آية ٥٩ . (5) سورة الحج آية ٧٥ . (6) سورة القصص آية ٦٨ .

تَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ) [1] .. ولما كانت أفعال العباد غير منفصلة عن حركة الوجود ، بل هى مرتبطة به وبالنظام العام للكون الذى خلقه الله ، وقدر كل حركة فيه وسكون .. ونصيبهم من أفعالهم هو الاكتساب والاختيار من دون تدخل منهم فى وقوعها أو عدمه .. ولا قدرة لهم على ذلك .. لذلك كان حساب العباد على النية .. ولذلك قال النبى (ﷺ) : (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى) [2] .. وقال تعالى : (وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ) [3] .. وقال : (رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورًا) [4] ..

ونية العبد خير من عمله .. ولكن عليه أن لا يكتفى بالنية بغير عمل أو جهد فإن النية بغير عمل لا تنفع .. بل هى وهم وخيال .. والنية الحقيقية هى ما استقر فى صدر العبد ، وعزم على إنفاذه ، واتخذ الطريق إلى إخراجه إلى حيز الوجود بالعمل ..

لذلك قال الحسن البصرى (رحمه الله) : (لَيْسَ الإيمَانُ بِالتَّمَنِّى وَلا بِالتَّحَلِّى ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِى الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ ، وإِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُم أَمَانِيُّ الْمَغْفِرَة حتى خَرَجُوا من الدُّنْيَا ولا حَسَنَةَ لَهُمْ ، يقولون : نُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله ، وكَذَبُوا ، فَلَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لأَحْسَنُوا الْعَمَلَ) ..

وإذا علم الله من عبده الصدق فى النية ، وفقه للعمل الصالح ويسره له .. وعلى قدر التوكل تكون الإعانة .. وعلى قدر التفويض يكون التوفيق ..

---

[1] سورة الشورى آية ١٣ .
[2] رواه البخارى كتاب بدء الوحى .
[3] سورة النساء آية ١٠٠ .
[4] سورة الإسراء آية ٢٥ .

بَيْنَ الفَضْلِ والْعَدْل

نفى الله تبارك وتعالى عن نفسه الظلـــم ، فقـــال : (وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ) [1] .. وقال ســـبحانه : (وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمًا لِّلۡعِبَادِ) [2] .. وقـــال : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ) [3] .. وقال عن يوم القيامة : (لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَ) [4] .. وقال : (فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـًٔا) [5] .. وقـــال : (وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [6] .. وقال : (وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ) [7] .. وقال : (وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ) [8] .. وقال : (وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [9] ..

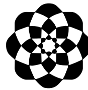
وعليه فلا يبقى إلا العدل والفضل .. والعدل اسم من أسماء ((الله)) تبـــارك وتعالى ، وصفة من صفاته .. و ((الله)) ذو الفضل العظيم .. وقد تفضل الله تبارك وتعالى على الخلق بالإيجاد .. ومنّ عليهم بالتكاليف والطاعات .. وما كان الإيجاد واجبًا عليه ولا تكليف العباد لنفع يحصل له .. فسبحانه لا تضره المعاصي ، ولا تنفعه الطاعات .. لأن الكفر والإيمان ، والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان .. فقد كان متصفًا بالعزة والجبروت من قبل خلق الْمُلك والملكوت .. وله أن يُوجب على خلقه ما يشاء .. لا ما يشاءون ، وأن يُكلِّفهم ما لا يُطيقون .. فإن أدخلهم الجنة فبفضله ، ورحمته ، وليس لأنـــهم يستحقُّون .. وإن أدخلهم النار فبعدله ، وهم لا يُظْلَمون .. سبحانه لا يُسْأل عما يفعل وهم يُسْألون ..

---

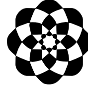
[1] سورة البقرة آية ٢٨١ .
[2] سورة غافر آية ٣١ .
[3] سورة فصلت آية ٤٦ .
[4] سورة غافر آية ١٧ .
[5] سورة الأنبياء آية ٤٧ .
[6] سورة النحل آية ١١٨ .
[7] سورة الزخرف آية ٧٦ .
[8] سورة آل عمران آية ١١٧ .
[9] سورة الكهف آية ٤٩ .

ومن رحمته أن أوجب على العباد معرفته ، وطاعته ، بالشرع والنقل ، وليس بالفكر والعقل .. ولذلك أرسل الرسل ، وأيَّدهم بالمعجزات للدلالة علي صدقهم ، وأنزل الكتب محكمًا فيها الآيات ، ليبيِّنَ للناس طريق نجاتهم ، ثم عمَّتْ رحمته العالمين ، فأرسل خاتم النبيين ، وآتاه السبع المثاني والقرآن العظيم ، فنسخ به كل الشرائع والأديان ، ولم يرض من الدين إلا الإسلام ، وأصبحت شهادة : (أن لا اله إلا الله) لا تدل على كمال الإيمان ما لم تقترن بشهادة : (أن مُحَمَّدًا رسول الله) .

وقد تحققت بعثته (ﷺ) للإنس والجن كافة بنص القرآن ، وبإخباره هو عن نفسه .. وقد أيَّده الله بالمعجزات الباهرة التي يضيق المقام عن ذكرها .. وأجلّها شأنًا القرآن العظيم ، الذي تحدّى به فصحاء العرب ، فعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله .. وتحدّى به علماءِ أهل الكتاب من يهود ونصارى فيما جاء به من أخبار الأولين وأنباء المرسلين .. وهو (ﷺ) العربي الأُمِّيّ الذى نشأ في بيئة تعبد الأصنام ، وتسجد للأوثان .. ومكث في قومه أربعين سنة هى عمره قبل الرسالة ، فاشتهر فيهم بالصدق والأمانة حتى لقَّبُوه بـ « محمد الأمين » .. وقد أوجب ((الله)) على كل من بلغته الدعوة المحمدية – عن أي طريق – أن يصدقه في كل ما أخبر به من أمور الدنيا والآخرة ..



نَسْأَلُ ((الله)) تبارك وتعالى أن نكونَ من المؤمنين به ، وبرسوله (ﷺ) ..
ومـن الراسـخين فى العلـم ، فنـؤمن بمـا جـاء فى القـرآن ..
ومـا جـاء فى سُـنة سـيِّد الأنـام ..
ونعمل بما فهمناه .. ونفـوِّضَ علـم مـا لم نَفْهَمْـه إلى ((الله)) ..
وأن نـهتمَّ بـما أرَادَهُ ((الله)) مِنَّـا ..
ولا نشـغل أنفُسَـنا بـما أراده ((الله)) بِنَـا ..
ولا نُعمـل عُقولَنـا فيمـا لا يجـبُ للعقـل أن يعمـل فيـه ..
إنـه علـى مـا يشـاءُ قـدير .. وبالإجابـة جـدير ..
وهـو نِعْـمَ الْمَـوْلَى ، ونِعْـمَ النَّصِـير ..
سبحانه وتعالى .. هو ((الله)) ..



الكتاب القادم

٢ الإســـلام وأركانـــــه

- أركان الإسلام الخمسة بأسلوب سهل يسير.
- فقه المذاهب الأربعة مختصر بغير إخلال .
- الأحوط فيما قرره الأئمة الأربعة .
- ما اتفق من آراء الأئمة مع الحديث الصحيح .
- مرجع ترجع إليه فى كل ما يختص بالصلاة والزكاة والصيام والحج .
- كتاب لا غنى عنه لكل بيت مسلم .

الفهـــرس

رقم الإيداع ٥٠١١ ١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 – 14 – 0081 - 9

مجموعة كتب

الطريق إلى الله

١- هو الله
٢- الإسلام وأركانه
٣- من الأحاديث القدسية
٤- المحظورات
٥- من أخلاقيات الإسلام
٦- من مجامع الكلم
٧- التربية فى الإسلام
٨- فى رحاب الأصحاب
٩- نساء مؤمنات
١٠-التصوف ما له وما عليه
١١-من أحكام الإسلام
١٢-تأملات فى آيات من القرآن الكريم
١٣-من علوم القرآن وبلاغته
١٤-مناجاة
١٥-فى رحاب المصطفى المختار ﷺ

يُهدى ولا يُباع
جمعية المواساة الإسلامية
Site: www.mouassa.org
Email: mouassa1@hotmail.com

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١-سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢-التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣-شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤-مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،